" نعامة و ٢٠ فيل "

من حكـــى

د. كمال الدين حسين

(١)

زمـــن الرقيــــق

بدايـــة صـــبح مثل كل صباح يشهد على ما يجرى بمديـــنة القاهرة. ومع أن الشمس مازالت فى غربتها، لم تـــرتفع بعد فى سماء القاهرة ، إلا أن أصوات سيمفونية الصـــباح بـــدأت فـــى الارتفاع لتملأ آذان سكان الحارة، ومـــنهم حســـونه حسنين حسان، والذى مثله مثل سكان الحارة من الرجال، تآلفوا مع هذه السيمفونية ، واعتادوا النوم على إيقاعاتها حتى السابعة صباحاً، لكن القلق الذى أمسك به، والإلهام الذى هرب منه فى منتصف الليل وحرمه أن يكمـــل المشـــهد الأخـــير من الفصل الأخير من الرواية الأولى التى يكتبها، وعزف زوجته ضمن جوقه السيمفونية، كل هذا جعله يقرر الاستيقاظ مبكراً (مسلماً أمره لله).

ومع أن حسونه استيقظ مبكراً على غير عادته، ومع أن نـــوال قد رأته ملياً، إلا أنها لم تكف عن العزف الذى ألفـــته هـــى الأخرى منذ أن سكنوا الحارة، بل فى معظم الأحـــيان كانـــت تقـــوم بدور قائد السيمفونية، سيمفونية

الصـــباح كما كان يحلو لحسونه تسميتها ، فعادة ما يبدأ العزف بصوت نوال منفرداً ، ليتداخل معه مباشرة عزف جارتها (أم حلتو) ، وبعد مازورة أو اثنتين بالأكثر يساهم الحـــاج رمضان الجار الضرير بصوته الباص الأجش، يليه بعد جملة أو اثنتين تداخل باقى الأصوات حتى تكتمل السيمفونية، وتستمر فى التحاور والتداخل والنمو. يتداخل معها من حين لآخر، صوت بائع الفول معلناً عن "لوزه" المدمـــس، أو بـــائع الجـــرائد يذيع أهم الأخبار، ترويجاً لبضاعة كاسدة بين سكان الحارة، وفجأة يفسد الهارمونى، ويتحول العزف إلى عراك وسباب، لا مفر منه.

ولا مفـــر أيضاً من سماع السيمفونية لنهايتها، هكذا قـــرر حســـونه وهو مستلق على سريره، خاصة عندما شنف أذنيه اسمه وهو يتردد بين الأصوات من آن لآخر، فالأستاذ حسونه "يريد أن يذهب للعمل".. "الصابون مازال عالقاً بوجه الأستاذ. تحسس الأستاذ وجهه، يبتسم، "إن نوال تكذب"، لا يهم ، "كذبة بيضاء من أجل حفنة ماء لا تضر".

تتسلل لأذنيه ضحكات طفليه من حجرتهما ، يبتسم ،

لا مفر من ترك السرير ، ومع تركه السرير يصل اليأس إلـــى العازفيـــن، تـــنخفض الأصوات ، وتغلق الحناجر ويهرب الماء مثل إلهامه من الصنابير المفتوحة، وكأنهما "فـــص ملـــح وداب"، تدخـــل نوال إلى الشقة منهزمة ، تضرب الصنبور بيديها غيظاً . يبتسم حسونه. لا يعجب نـــوال تبلده وابتسامته ، ترمقه بنظرة تحفز وسرعان ما تـــنقض لوما على هذا الزوج المقصر الذى لا يعرف إلا الفلسفة وإصدار الأوامر، ووضع اليدين والقدمين فى ماء بارد، لقد جف ريقها معه فى طلب "إناء بلاستيك لتخزين الماء" ومع الأسف كأنها تؤذن فى مالطة، يبتسم حسونه . يمازحها لفك الاشتباك :

- "وأين تقع على الخرطة مالطة"؟

لـــم تفلـــح المزحة ويستمر هجومها : "هناك بجانب الكـــوم الذى ألقاها إليه حظها العاثر، عندما تزوجت هذا الأستاذ".

وتـــبدأ نـــوال فى عزف مقطوعة خاصة بحسونه ،

يقطعها دخول سلوى ومروان ، فتنشغل معهما ، ويستغل حسـونه الفرصة، يهرب إلى المطبخ، يختلس حفنة ماء مـن إنـاء ادخرته نوال لشاى الصباح، يسرع حسونه ، يـبلل وجهه، يجففه، فبقدر ما هو جميل كوب الشاى مع الصـباح إلا أن الأجمـل مـنه أن تستقبل يومك بوجه مغتسل.

يرتدى حسونه ثيابه ، يتعلق طفلاه بقدميه ، يسحبهما معـه إلى الصالة ، يضعهما على الكنبة بجوار النافذة ، يتأكد من إغلاقها، قد يفكر أحدهما فى النظر إليها. يتجه إلـى كومـة الكتب الملقاة بجانب الحائط يبحث فيها عن كـتاب يطالعـه فى المصلحة ، يتركها إلى كومة أخرى أسفل المنضدة الخشبية المستندة للحائط على ثلاثة أرجل. ينحنى أسفلها يعبث بالكتب ونظرات نوال تلاحقه ، يخرج خالى الوفاض. تقابله نوال بصراخها لقد اتسخت البدلة ، كـيف يذهـب لعمله بكل هذا التراب، يعتذر، يهرع إلى الفرشـاة يلحـق بـه طفلاه، يساعدانه فى إزالة ما علق

بالبدلة من تراب.

تستمر نوال فى عزفها المنفرد، لا تبالى بالأطفال، فالزوج مهمل، والمنزل ضيق ملأته الكتب التى لا تعرف لها أول ولا آخر، وتنهى لحنها بالقسم ببيعها لأول بائع روبابيكيا، فكم هم أحوج لثمنها.

يقطع العزف لحن غريب ، زغرودة تنطلق من الحارة تهرع نوال للنافذة ، تنسى الزوج المترب، الشقة المليئة بالكتب، المياه، وتفتح النافذة لتستطلع الأمر، يدفع الفضول حسونه للسؤال :" خير" ؟

تزغرد نوال، تجامل ، تستدير للزوج المتطفل:

- عقبال سلوى، بنت أم محمد حتسافر النهارده مع جوزها؟
- جوزها!! أم محمد مين ؟
- جارتنا.
- أنهى بنت.
- محاسن.

- دى حتتجوز ؟
- واحد عقبال آمالتك غنى وغرقان فى الفلوس.
- دى عندها خمستاشر سنة.
- راخر الحكيم خد الشئ الفلانى وسننها.
- والمدرسة.
- بلا هم.. حتنفعها بإيه ، أصل العريس غنى، طب دا جــاب لأمهــا . وتعــدد نوال هدايا العريس.. مناقــبه الماديــة ، "الأملة" التى أصبحت فيها أم محمــد وأبــو محمد ، حتى محمد ابنهم العاطل، اشــترى له العــريس تاكســياً وأصبح "اسطى قد الدنيا".
- كل ده علشان المفعوصة دى.

وتــرتفع الزغاريد ، تصدح فى الحارة أبواق السيارات، يــندفع الجمــيع ، وتتغــير الســيمفونية ، زغاريد، نفير الســيارات، مطــربات يولولن من أجهزة التسجيل، كل يجــامل بطريقــته، بأسلوبه، والحارة تسد مدخلها بسيارة

مرسيدس برتقالية اللون، مزدانة بالورد. تجذب نوال حسونه من كتفه، تدفعه للنافذة ، ليرى العريس.

يضحك حسونه ، فالسيارة ليس بها إلا جد العريس، رجل ناهز الثمانين، يرتدى بدلة لا تليق لا بسنه ولا مقامه "إن كان له مقام".

ترد نوال.:" لا.. الظاهر ده أبوه"

يصر حسونه على أنه الجد ، تحسم نوال النقاش، تسأل أم محمد ، أم العروسة التى تنطلق مغردة، وشوبش "يا حبايب العريس". يصعق حسونه ، تدارى نوال ضحكة بيديها، ينفجر حسونه:

- مش ممكن ، مش ممكن.

تلتفت إليه نوال ، بزاوية وجهها:

- وماله ، ماهو كل شئ بثمنه.
- بثمنه ، وهل للضنى ثمن.

وتتعجب نوال ، إنه هكذا دائماً يقلب الحبة يجعلها قبة، يهز حسونه رأسه أنها فعلاً قبة، عندما يأتى الزمن الذى

يبيع فيه الأب أبناءه من أجل الثمن، تكون قبة وستين قبة.

- دا جواز على سنة الله ورسوله.
- غير متكافئ، تجاره ، دعاره، رقيق أبيض... أيوه رقيق أبيض.
- يا خويا عقبال سلوى.
- لا ، لا يمكن أبيعها هكذا ،

يسرع حسونه لاحتضان ابنته. تضحك نوال في حسرة:

- واتخضـــيت كده ليه، ؟ ما هو لو ربنا كان عايز ينصفني كان نصفني م الأول قبل ما أخدك.

تحمـــل حســـونه الإهانة ، داعبت أصابعه رأس سلوى ، حملها بين يديه، قبلها ونظر لنوال :

- "ربـــنا يقدرني وأسعدها وأسعدكم.. ومهما كان مش ممكن أبداً أفكر للحظة إني أبيعها مهما كان الثمن".

غادر حسونه المنزل مسرعاً، خشي أن تشغله رحله العروســـة عن عمله. لم ينس قبل أن يغلق الباب خلفه أن يـــأخذ مـــن نوال مصروف يومه، للمواصلات، وكوب

الشـــاى، وأيضـــاً لفة الساندويتش، وضعها داخل حقيبته الجلديـــة الكالحة، فصلها عن أوراقه بكيس من النايلون، حمل حقيبة الغذاء تحت إبطه ، هكذا يحلو له أن يسميها، بهـــا غـــذاء البطن، وغذاء العقل، وضع المصروف فى جيـــب ســـترته الخـــارجى، أخرج على السلم بعضا مما يدخره ببطانة سترته. ثمن الجرائد وما يستجد من كتب، شـــق طريقاً للخارج وسط المتطفلين على زفة العروسة ممـــن يـــزدحم بهم "بير السلم". وأمام الباب، أفسح لنفسه طـــريقاً فـــى الحارة سار بمحاذاة المرسيدس، ألقى نظرة علـــى العـــريس الآيـــل للسقوط، تماماً كمنازل الحارة، بجـــواره تجلـــس محاسن، طفلة بريئة، لم تستطع الأيدى التى أخفت وجهها تحت أكداس الألوان أن تخفى البراءة المطلة من عينيها، ضحك، ها هى من كانت تلعب أمس مع قريناتها فى الحارة، "الكبه" و"نط الحبل"، سبحان مغير الأحـــوال . ضحكت له محاسن حياها بابتسامة، معذورة فهـــى مازالـــت طفلة تتوهم أنها جزء فى لعبة من ألعاب

الأطفـــال، كـــم لعـــب مع أقرانه وهو فى سنها "العريس والعروسة"، يا ترى هل تدرك محاسن أبعاد اللعبة المقدمة علـــيها، هل يأتى أبوها أو أى أب ليفض اللعبة، يصرفهم عـــنها حـــتى لا تثير فى الصغيرة مبكراً أشياء لا تدرك أبعادهـــا بعد، لكن أى أب يستطيع أن يفض اللعبة بعد أن أحكم أبوها رسمها تحت ستار الشرع والسنة.

وصل حسونه إلى محطة الأتوبيس، حاول أن يشق لنفســـه طريقاً ليصل إلى مقدمة الطوار، يد خبيثة تجذبه، تعـــيده للخلـــف، يهـــم بالعراك، يبتسم.. إنه "عبده التلت" صـــديق طفولـــته بقامته القصيرة وعوده النحيل وعينيه الغائرتيـــن، وشـــعره الأسود المجعد وأناقته المعتادة، لم يتغـــير فـــيه شـــئ احتضنه. تبادلا الأحضان، القبلات، السلامات ، الأشواق، الذكريات.

دعـــاه حســـونه علـــى كـــوب من الشاى معه فى المصلحة، اعتذر عبده، فأمامه تصوير خارجى، إنه يعمل الآن بالتليفزيون ، مسلسل بحاله، الحمد لله، أخيراً نطق.

كــان قبلاً كومبارس، صامتاً، والآن، نطق، جملة هنا ، كلمــة هــنا، "خطوة فى طريق الشهرة، القمة"، يضحك حســونه، يســأله عــبده عن آخر مارآه من أفلام يعتذر حسونه فهو مضرب عن السينما.

- "والفيديو ، " سأله عبده .

صــمت حســونه ، إنه لا يملك حتى تلفزيون، "فقط لديه بوتاجــاز وإن كــان يمثل فى البوتاجاز فبإذن الله سوف يشاهده المهم، بيمثل على أى شعلة".

ويضحك الصديقان وينتهز حسونه الفرصة، يوصى صــديقه أن يسأل عن أخبار مجموعة من أعماله أرسلها لرقابة التليفزيون، منذ أكثر من سنة، يخشى ضياعها أو اقتباسها، يشك فى أصل مجموعة أعمال قدمها التليفزيون قرأ عنها أخيراً، يخشى أن تنتمى بصلة نسب لأعماله، أن تــتكرر معــه نفس تجربته مع شركة إنتاج سينمائى منذ عاميــن قــدم لهــا عملاً، شوهوه وقدموه لشخص آخر، يطمئــنه عــبده فهــو ذو نفوذ فى التليفزيون. ينطلق كل

لطـريقه، بعـد أن تـبادلا العناوين يتنهد حسونه، يتذكر الأتوبـيس يعـود للصراع مع الزحام ليصل إلى مقدمة الطوار خشية أن يتأخر ويحدث "مالا تحمد عقباه".

(٢)

عريس الغفلـة

يصـل حسـونه الـوزارة فى الميعاد ، هكذا اعتاد طـوال حياته، لا يحترم من يخلف الميعاد ولا يجب أن يكـون ممـن يخلفـون مواعيدهم، يتجه إلى مكتبه مارا بابتسـام زميلـته ، يلقى عليها التحية، لا ترد، لا تلتفت. تلفـت نظـره هاله زرقاء الت أسفل عينيها، يسألها ، لا تجيـب، يصـمت احتراماً لصمتها، يطلب القهوة السادة، اعـتادها منذ أن بدأ الكتابة، يخرج أوراقه، غذاء الروح من حقيبته، يراجع مسودة كتبها أمس، يذوب بين أحداثها، يفـد الـزملاء تباعاً، لا يتركوه فى حاله كالعادة، هم أيضاً محافظون على مضايقته، محافظته على قهوته السادة، التندر

بكتاباته، بأحلام نجاحه فى الكتابة. لا يحتمل حسونه لا ثقل ظلهم ولا غباءهم. يخرج من عالم قصته، ينزل إلى عالمهم يـــنهرهم، يسبهم، يبعدهم عن مكتبه، لم يأبهوا، استمروا فى لغوهم.

خرجـــت ابتسام عن صمتها، طلبت منهم الصمت، فالصـــداع لا يحتمل فى رأسها، انقلبوا عليها، من يطمأن أو قـــل يتطفل، من يسأل أو قل يتدخل. حاول حسونه أن يمـــنعهم، فاحـــترام الصمت ميزة لا يفهمها أمثالهم، لكن ابتســـام خذلته، فكأنها وتطفلهم على ميعاد، انفجرت فيهم شاكية، عارضة مشكلة تؤرقها، أطارت النوم من رأسها.

- خيـــــــــر؟

- لقـــد جاء أمس للمحروسة عريس، "والمحروسة" هى نفسها "ابتسام".

هلل الجميع ،باركوا.

- ..لكن !!

أوقفـــتهم "لكن" التى أطلقتها ابتسام،:" لكن، غير مؤهل،

ميكانـــيكى، صـــاحب ورشة أسفل المنزل" يفغر الجميع أفواههـــم دهشـــة وككورس فى مسرحية يونانية يسألون ""ميكانـــيكى" ؟ يـــتقدم للزواج ممن تحمل شهادة عليا فى الفلســـفة"، مـــاذا يفهم هذا الميكانيكى فى مربع أرسطو ، الفرق بين المنطق والكوريك.

- "لابد أن ميزان الكون قد اختل"

أطلقهـــا حســـونه عنيفة تكسر حدة الصمت. لكن باهر ممن عرف عنه الخبرة بالحياة، ابتسم، اقترب من ابتسام وسأل:

- هل لديه شقـــــة.

هزت رأسها بالإيجـــــاب.

- سيارة ، قادر على المهر، المؤخر، الشبكة.

اســـتمرت رأس "ابتســـام" فـــى الاهتزاز موافقة، التفت باهر لحسونه.

- إذا ما يمنع الإقتران، العريس مناسب من كل الوجوه.
- لا تنســـوا أيضـــاً أنـــه شاب، لم يتزوج من قبل والأكثر يحبنى.

أزادت ابتسام البيـــــان.

- مــش كفاية، المهم أنتى هل تحبيه، هل حادثتيه ، هــل يمكن أن تتلاقيا، أن تتافاهما أن يكون بينكما حد أدنى من الالتقاء.

احتارت ابتسام فى الإجابة ، بل لم تجد إجابة فى الأصل.

- إذا فهو زواج غير متكافئ.

وانبرى "باهــر" مؤيداً وجهة نظرها :

- بــل زواج فــيه شئ من التكامل ..هو عنده المال وهى، موظفة،!! هو عنده الشقة، وهى تعيش مع عائلــتها؛ ستة أشخاص فى حجرتين، هى متعلمة وهو أمى، كل يكمل الآخر تكامل الحياة، والتكامل أهم من التكافؤ ، التكافؤ يخلق المشاكل، كل يضع رأسه برأس الآخر، أما التكامل فيخلق السلام فكل يشــعر داخلــه أنه محتاج للأخر، لا يستطيع أن يستغنى عنه، فيتنازل وتبحر مركب الحياة بهدوء، تتبختر بالعروسين.

- إنهـــا ليست تكاملية، بل هى شئ أقرب إلى شيلنى وأشيلك.. يابخت من نفع واستنفع.
- وماله، ماهو كل شئ وله ثمن، كله بثمن يا أستاذ.
- لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا هو الثمن ، السعادة، الحـــياة الزوجية، الأسرة الأولاد، كل هذه الأشياء مـــا ثمـــنها فـــى نظركم، متعة لحظة، لذة زائلة، ســـيارة، شـــقة، لابـــد أن هناك شئ غلط فى هذا الكون.

اندفـــع نحـــو ابتسام يرجوها أن ترفض، لا تقع فى هذا الخطأ لا تتزوج إلا من هو كفء لها.

هزت ابتسام كتفيها، دمعة ساخنة فرت من عينيها.

- "وكيف أعيش يا أستاذ حسونه ، الكفء لا يقدر على ثمن شقة وسيارة، حتى فستان ، حذاء".
- وهل الدنيا شقة وسيارة وحذاء.
- الدنيا خلقت لنعيشها يا أستاذ لا لنترحم عليها.

أجاب باهـــــر، واستمر فى شرح فلسفته.

- الأســطى ســيحقق المعيشة أما الكفء فسيجعلها تــترحم علـــى كــل شــئ حتى أحلامها يا أستاذ حسونه.

وينصـــح ابتسام بالموافقة، وتتنهد ابتسام، تضحك ، فهذا فعـــلاً رأيها، ويفاجئ حسونه ، إنها وافقت بالفعل، وغدا إعـــلان الخطــبة، ودعت الجميع لحضور الحفل فى أحد فنادق القاهرة، الكبرى.

و"هذا أول مشوار لمعيشة الحياة" عقب باهر.

لـــم يستطع حسونه أن يتحمل أكثر من هذا ، غادر الغـــرفة، انطلق هارباً من هذا السوق الذى يباع فيه كل شـــئ حـــتى المشـــاعر العواطـــف، وتمنى ألا يحدث له ولأولاده فيه "مالا تحمد عقباه".

الحلــم غيــر المبــاح

عـــاد حســـونه إلـــى المكتب بعد ن هدأت ثورته، انصرفت العروس للإعداد للحفل، هكذا أخبره باهر، لمح له بأن ثورته قد أغضبتها، فجرت داخلها مشاعر تحاول الهـــروب مـــنها، استفسره حسونه، إن كان قد أخطأ فيما قاله، أيده باهر،فهذا ما يقرره العقل، تعجب حسونه.

- "لكن هذا لم يكن موقفك؟"

نظر إليه باهر. هز رأسه متعجباً من سذاجته.

- وليه أزعلها منى، ثم الدنيا ظروف، وربنا أمر بالستر.

نظرة غيظ تلك التى نظر بها حسونه إليه، "إنه نفاق، أين الـــزمالة.. الضـــمير.. العقيدة، كلها تحتم عليه أن يكون صادق النصح لها،".

- يـــا سيدى ماتزعلش نفسك قوى، ثم هى قالت لنا بعد ما وافقت يعنى إخبارنا كان تحصيل حاصل،

حاجة كده علشان ماتزعلناش ماتخسرش احترامنا ليها.

ازدادت نظـــرة الغـــيظ فـــى عينى حسونه، يجمد تعبير وجهـــه، طـــار بـــه فكره بعيداً ، بعيداً عن المكتب، عن ابتســـام، طار إلى المستقبل، مستقبل ابنته سلوى.. ترى مـــاذا يخبـــئه لها القدر، هل يخبئ لها القدر بيعة أخرى كمحاسن، ابتسام.

دارت رأسه فيمن حوله، وقف خلف مكتبه مشدوداً، أقسم أغلظ الإيمان، أخذ على نفسه أقسى العهود بأن يفعل المستحيل لضمان مستقبل أولاده. اقترب منه باهر شد من أزره ،أيده فى قسمه تماماً كسنيدة فى مظاهرة، جذبه من كـــم ســـترته، أجلســـه، همس فى أذنه إعجاباً به، ألحق الإعجـــاب بوعـــد بالمساعدة، أما كيف ومتى، فقد أرجأ الإجابة إلى أخر النهار، بعد العمل.

يـــتلخص عمل حسونه فى الوزارة، فى حفظ ملفات العمـــلاء، إقـــراراتهم ، مستنداتهم خاصة ما يتعلق منها

بالاستيراد والتصدير، ومن هنا كان مدخل باهر للمساعدة، فالأمر جد بسيط، مجرد إعادة ترتيب للأوراق، دون جهد أو تعب، إقرار لا لزوم له يفقد.. تعهد ما، يختفى، بيان بسلعة لا لزوم لها يستبدل، فقط إعادة ترتيب للأوراق.

شكره حسونه، طمأنه على مستقبله وطريقه، ولن يلجأ أبداً إلى أى طريق غير مشروع، فقد منحه الله ما يمكن أن يحقق حلمه، ضحك باهر :

- "هل هناك ثروة يخفيها أم إرث قريب؟

غمزه بيديه فى جنبه ليعترف، ضحك حسونه.

- لا هذا ولا ذاك.. أنها القصص التى يكتبها، سوف يسعى لبيعها لنشرها، لقد خشى دعابتهم فأخفى عليهم سراً، هناك مجموعة من النصوص تقرأ فى رقابة التليفزيون، ورواية اتفق على نشرها ، سلم أربعة فصول منها ولم يبق إلا الأخير، هذا هو السر، وهذا هو الطريق.

- مــوت يا حمــار !

أطلقها باهر معقباً على كل هذا الحلم صعب المنال، أيــن هــو والتليفزيون والنشر وهل يعتقد أنهم ينشرون قصصه أو يأخذونها هكذا لسواد عيونه أو محبة فيه، لا ، "فــوق ياصاحبى، هناك اعتبارات ثانية لابد من وجودها لديــك غير الموهبة ، والفن، اعتبارات لا تقدر عليها يا حســونه "وعقــد معــه رهاناً، إن لم يتبع طريقه فى هذا الــزمان، فسيضيف إلى طابور أبو محمد وأبو ابتسام أبا آخــر قد تضطره الظروف لبيع ابنته هذا إن لم يبع نفسه وزوجته إن اقتضى الأمر".

لم يتمالك حسونه، أمسك به من سترته وانهال عليه ضــرباً، لولا جمهرة من الناس حالت بينه وبين ارتكاب جــناية، إلا أنــه أســرع بــإعلان الفراق بينه وبين هذا الإنســان، هــذا الذى لا يؤمن بفنه وموهبته، واندفع بين الــناس، يشــق له طريقاً مرفوع الهامة، مفرود الظهر، حقيبــته تحــت إبطــه ، جبينه منشرح ، قرر أن يذهب

للتلـــيفزيون ليرى ما حدث لأعماله، ليثبت لهذا المغرور ولغيره أنه فعلاً أديب، كاتب فقط ينتظر الفرصة. أعجبه قراره، صمم على تنفيذه، غير وجهته فعلاً، وأن كان قلبه يحدثه بأن هناك شيئاً ما سوف يحدث قد" لا تحمد عقباه".

(٤)

يـا تلفزيـــون يـــا

كم هو شاق على الإنسان أن يفقد الأمان، أن يخاف مـــن الغد، والأشق عليه أن يمتد هذا الإحساس لأولاده، فالإنســـان "بطوـــله" كمـــا يقولون ، يقدر على نفسه، أما صغاره فهذا شئ رهيب .ألم يقولوا أن الإنسان لا يتمنى أبـــداً أن يـــرى مـــن هـــو أفضل منه إلا ولده"، حقاً قال البعض" إن جاءك الطوفان ضع ولدك تحت قدمك". لكن مـــن المؤكد أن القول شئ والفعل شئ أخر، فالضنى هو الضـــنى مهمـــا كان ولأى كان، لذلك انطلق حسونه، لا يأمل فى أى شئ سوى أن يعرف مصير أعماله، يستعجل

قرار اللجنة لها، تدفعه رغبة فى أن يثبت لهذا الباهر غير الـباهر، إنـه مؤلف ومبدع، ورغبة فى أن يشق طريقاً جديـداً بعيداً عن الوظيفة يؤمن من خلاله مستقبل أبنائه من أن يباعوا ذات يوم تحت أى اسم، هجرة، عقد عمل، إعـارة، أو الشـرع والسنة، أو تحت أى شعار آخر فى زمن تملأه الشعارات.

خلف الواجهة الزجاجية فى مكتب الاستعلامات جلـس حسونه، حوله عشرات من الموهوبين، المبدعين، كـل يبحـث عـن إذن تصريح للدخول إلى عالم المجد والشهرة والأمان، عالم التليفزيون، حتى تلك المرأة التى ترتدى السواد، تسحب فى يديها توأمين فى عمر سلوى، تستشف فيهما موهبة ما، جاءت هى الأخرى تبحث لهما عن فرصة، لم يستطع حسونه صبراً أمام توسلاتها للسيد مسـئول الأمن فى الاستعلامات. كادت المرأة تبكى، أن الحـياة صـعبة، مات زوجها، لم يترك لها إلا الطفلتين وعبء الحياة، طرقت كافة الأبواب جربت كافة الأعمال

دون طـــائل، فرصتها الأخيرة فى أن تجد عملاً لطفلتين جميلتيـــن بريئتين، موهوبتين ، أفضل من كثيرات ممن تـــزدحم بهـــن الشاشة الصغيرة، إزداد التوسل انقلب إلى اســـترحام، "ورضـــوان" مغلق باب الجنة وباب أذنيه لا يسمع ، يقترب أحد الجالسين من المرأة، يكتشف فيها هى الأخرى موهبة ما، يعدها بالعمل فى الحقل الفنى، يعطيها كـــرتا، يشم حسونه فيه رائحة خبيثة، يستفز، يهب ثائراً فـــى وجهـــه لاعناً كل مستغل أى ظرف يقع فيه إنسان ،وينقذه "عبده التلت" من ثورته يجذبه من ثيابه، مازال حسونه ثائـــراً، لاعـــناً الزمن الذى لايرحم المرأة التى جاءت تستثمر طفلتـــيها، تعرضـــهما فى سوق الفن قبل أن ينضجا، يعطى "التلت" عذراً للجميع، فالفن اختلط به الحابل بالنابل، والقيم الفنية ضـــاعت وسط زحام الأهواء الشخصية والنزوات، ومن يريد أن يلعب اللعبة، يجب أن يفهمها، يأخذ منها ما يعجبه، ويترك لكل ما يعجبه ، حتى يعيش، وكل له نفسه ومسئوليتها، ونحن لسنا أوصياء على العالم.

يســـأله حسونه عن أعماله، يهز التلت رأسه آسفاً، رفضت جميعها، ليس كل ما يكتب يصلح للتليفزيون.

- إزاى دى أحسن من حاجات كثير بتتعرض.
- مش المهم.
- وإيه المهم.
- إنها تناسب المعايير الموضوعية، اللى بتعرفها الرقابة.
- يعنى كل الأعمال اللى بنشوفها دى بها معايير.
- مؤكـــــد.
- طيب وأعمالى اترفضت ليه؟
- اللـــى يقول علشان الفكرة، واللى يقول الأسلوب ، واللى، واللى..
- مش معقول كلها.

ويصـــر حسونه أن يذهب للرقابة، يقابل أكبر رأس فـــيها، فمن غير المعقول أن ترفض كل أعماله، هو الذى ذاق الأمرين من قبل تحت شعار توارد الخواطر.

- هما أدرى.

– لا، مش دريانين بحاجة لازم أقابلهم.

يستأذن له"عبده التلت"من موظف الأمن،يدله على مكتب الرقباء.

دق حسـونه الـباب ، دخل، حجرة كبيرة. المكاتب مـزدحمة بالموظفين، سيدتان تتجاذبان أطراف الحديث، أغلـب الظن خلاف عائلى مع إحداهما، فى المقابل منها أفـندى كدست أمامه صفوف الأوراق، يلتهم ساندويتش "طعمية"، تفضحه رائحته،تذكر زملاءه موظفى المصلحة، أفـندى آخـر يـتحدث فى التليفون ،وثالث يجالس فناناً، يتناقشان فى عمل فنى.

نظر حسونه لعبده، هز له كتفيه، تقدم إلى وسط الحجرة، أعلن عن نفسه، حسونه حسنين حسان، التفت له صـاحب السـاندويتش، دعاه للجلوس، نصوصه لديه ، جـذب حسونه كرسى، دعى عبده للجلوس أمامه، أنهى الأفـندى السـاندويتش، سحب ورقة من أمامه مسح بها يديـه، ألقـى الورقة فى سلة المهملات، نظرات الدهشة الممزوجة بحسرة من عين حسونه تتابعها.

ابتسم الأفندى : "صدقنى فى حاجات كثيرة من اللى قدامى، ده مكانها الطبيعى".

عقب حسونه : "أتمنى نصوصى ماتكونش منها".

طمأنه الأفندى: "لا، أطمئن، أنت شغلك حاجة تانية، شئ عظيم بالفعل، قولى مين حضرتك"!!

تحمـــل حسونه، الدعابة، أو الإهانة، أو اللا مبالاه، الصـــادرة من الأفندي، ضربة التلت فى قدميه ليصمت ، كرر:" حسونه حسنين حسان".

تذكر الأفندى نعم، نعم لقد قرأ له أشياء كثيرة، فعلاً، فعلاً، لكنها للأسف لا تتناسب مع التليفزيون.

فغر حسونه فاه، سأل "التلت" :"لماذا" ؟ بالفصحى ، اعـــتدل الأفندى فى جلسته. أشعل سيجارة، مال بكرسيه على الحائط . جذب نفساً عميقاً من السيجارة ثم.

- "شـــوفوا ياحضــرات، التلـــيفزيون ده، الجهـــاز الصـــغير ده مـــن أخطر ما يمكن، ده يا سادة بيدخل كل بيـــت بيشوفه كل واحد، أنا.. أنت ..هو، مراتى، مراتك،

مــراته، ولادى، ولادك، ولاده، ومــن هنا تتبع خطورته وعلشان كده يا حضرات إحنا بنعمل اللى علينا، بنراعى ضــميرنا وربــنا مابــنوافقس إلا على اللى ينفع الكل، خصوصـــاً واحــنا دلوقتى فى زمن العولمة.. قولتم إيه، صــلوا بــنا علــى النبى، قولنا إيه ياحضرات قولنا أن التليفزيون".

دارت الدنــيا بحســونه، كاد أن يسقط من فوق مقعده، فقد توازنه مع محاضرة الأفندى التى لا وزن لها، "مال التليفزيون وأعماله والخطورة والناس والعولمة، إنه يكتــب لشعبه.. لناسه وهو يدرى هذا تماماً، أنه لم يأت ليســمع هــذه المحاضــرة، فقــط يريد أن يعرف سبب الــرفض، ولابــد أن يكون سبباً علمياً، أسلوب ، حبكة، موضــوع، كلهــا سليمة وصادقة، مستوفاة كافة المعايير الأدبية والخلقية، أين نقاط الضعف فى الأعمال.

ابتســم الرقيب : ليس بها نقاط ضعف، لكن المبدأ، إنها لا تصلح للعرض فى التليفزيون وكفى.

حاول حسونه، حاول التلت، دون فائدة، كمن يخبط رأســه فــى حــائط خرســانى ، ويقوده الرقيب لرقيب والرقيــب لكبير الرقباء، والجميع نفس الأسطوانة، نفس الحدوته، نفس اللعبة.

ويــدور به عبده التلت على المبنى، ويدور حسونه علــى المكاتــب، وينــتهى بــه المطــاف عــند مكتب الاســتعلامات.المــرأة مازالــت جالسة، طفلتاها غلبهما الــنعاس، الأم مازالت تبكى، وقلب موظف الاستعلامات أشد خراسانية من عقول الرقباء، لا يدرى ما الذى ذكره بــنوال وطفلــيه فى مثل هذه الساعة، تخيل نوال مكان المــرأة، وطفلــيه يرقدان على ركبتيها وهى تتوسل إلى رجــل الأمن، فقد ضاع حسونه والأعمار بيد الله، حاول أن يــزيح الصــورة من أمام عينيه. أغمض عينيه ،لكن صــوت المــرأة وهــى تتوســل طــارده، صرخ فيها، نهرها.فلترحم نفسها والصغيرتين لترحل بهما فقد انفض الســوق، أغلــق أبوابــه أمــامهم، ولم يعد هناك مكان

لبضـــاعتها، فلـــترحل وتعـــود باكـــرا، فقد تصادف من يشـــترى، وعندها تبيع وقد تتخطى عتبة العوز والحاجة علـــى حساب الصغيرتين، مستقبلهما.يبذل "التلت" أقصى جهـــده فى أبعاده عن الاستعلامات.. عن المبنى، يحاول أن يهدئ من ثورته، أن يبث حبة أمل فى قلبه الخرب.

يجلـــس حســـونه علـــى حجـــر فى قبالة مبنى التليفزيون ظهره للنيل، وأمام عينه المبنى الشامخ، يخرج له لسانه، ويقسم أنه لن يدخله إلا نجماً، سيجعلهم يجرون خلفـــه، وعندها، سيعرف كيف ينتقم، مازال أمامه فرصة النشر، وستتم، ألم يأخذوا ثلاثة فصول، ألم يوعد بالنشر، ألـــم يعجـــب مديـــر دار النشـــر بروايته، حسناً، ستنشر وســـتتلوها أخريات ويلمع اسمه، عندها سيأتون زاحفين أمامـــه، وعـــندها يفكر إن كان يمنحهم أعماله، يفكر فى العقـــود، فى فرض الشروط، عندها يتقبلون أى شئ، فهم "عالم يخاف ما يختشيش".

نظـــر فى ساعته ، لقد بدأت الشمس فى المغيب

واقـــترب المغـــرب، حسناً فليرحل، لينسى كل شئ حتى يخلو ذهنه تماماً لإتمام روايته، وبعدها، فليخرس الجميع "عما لا تحمد عقباه".

(٥)

ساعـــات العصـــارى

لابـــد أن يوافقنى كل من زار القاهرة فى الصيف، علـــى أن أحلـــى ســـاعات صـــيف القاهرة هى ساعات الغـــروب، تغـــرب الشـــمس بقيظها الحارق، تهب نسمة لطـــيفة رطـــبة تعـــرف فى أوساطنا "بنسمة العصارى"، يعشـــقها كـــل مـــن فى القاهرة، ويحلو لهم معها التنزه والتريض إستمتاعاً بها والقاهرة فى آن واحد.

يـــتفق الجمـــيع على ذلك إلا "نوال"، ونوال تخالف الجمـــيع الرأى، ليس بغرض المخالفة لكى تحقق معرفة، بل بغرض التعبير عما أصابها من سوء البخت والطالع ، مـــنذ أن تزوجـــت، وأنجبـــت، فنوال كانت تعشق نسمة

العصـــارى، كم تغنت بها مع من تغنوا، كم استمتعت بها لهـوا ومرحاً مع رفيقاتها "ساعات العصارى"، لكن هذا كان قبل الزواج قبل أن تنكب – على حد قولها – بالزوج الـــذى يهملها ويعيش على وهم خاص به، والأولاد الذين لا يـــرحمون، ولا يقـــدرون، لذلك تخالف "نوال" الجميع وتخـــتلف لديهـــا "ساعات العصارى". فالغروب بالنسبة "لنوال"، من تعمل كالنحلة طوال اليوم فى أشغال المنزل، فى رعاية الطفلين، فى تلبية احتياجات زوج – وعلى حد قولها – من مطلع الفجر حتى الغروب، هو نهاية اليوم ، هـــو لحظة الراحة، الأولاد انهكوا من طوال عراك يوماً بطوـــله، فمـــا أن تحين ساعات الغروب حتى يغرقوا فى نوم عميق كمن يستعدون به لمشوار الغد، والزوج تناول قهـــوة العصر ليتقوقع فى أحد أركان الصالة بين أوراقه وكتـــبه وأقلامه، لا يريد إزعاجا،فلا تجد نوال مفرا من الـــنوم فهو ملاذ المتعبين – وخير رفيق للمنهكين، لذلك يكـــون الغـــروب دوماً هو لحظة الفرج، لحظة أن تسلم

"نــوال" جسدها المنهوك للسرير، وترافق سلطان النوم، ضــاربة بكــل شئ عرض الحائط حتى حسونه زوجها، الــذى يختلى بنفسه مهملاً إياها، وكم اشتكت منه "لطوب الأرض"، حرصــاً علــى رفقته، وخوفاً على نقوده التى يضــيعها فى شراء كتب وأوراق وأقلام واشتراكات فى مسابقات للقصة والرواية ، وأخيراً حرصاً على استهلاك الكهــرباء والــتى أصبحت اليوم "بالشئ الفلانى" والتى يصر حسونه على أن تسدد تكاليفها من "مصروف البيت"، والله يعلم كم هو مصروف البيت ؟، وكيف تدبره لكى يسترهم الله به.

اســتدارت نــوال فى سريرها، مدت ساعديها لتلقى بهمــا مــع حمــل يومها الشاق على كتف زوجها الراقد جوارها ، ارتطمت الذراع بالمرتبة الجافة، لم تصادف لا كــتف الزوج ولا ظهره ولا حتى بطنه، استيقظت نوال، مع سقوط ذراعها، فتحت عينيها بصعوبة، نادت بصوت مــا بين همس النائم، ونداء الحالم على حسونه، لم تتلقى إجابة، امتدت راحتاها تتلمسان الفراش، ازدادت عيناها

اتساعاً قامت جالسة على السرير، العصبية تملكتها عندما اكتشفت غياب الزوج، أدارت رأسها تجاه باب الحجرة نصف المغلق، لمحت شعاعاً من ضياء يتسرب من بين ضلفتيه، ووصل لأذنيها سعال الزوج الخفيف، ازدادت حواسها انتباها ، سمعت السلام الجمهورى من تليفزيون الجيران، ألقت بالغطاء من فوق قدميها، قفزت من فوق السرير، خرجت للصالة متنمرة. وقفت على باب الغرفة، يداها فى خصرها، شفتاها تمصمص، فى تعجب لهذا المستغرق الذى لم يشعر حتى بقدومها، وقفت صابرة برهة،حسونه مازال غارقاً بين أوراقه، ازدادت عصبيها، اندفعت إلى الوريقات تسحبها من بين يديه.

– وآخرة الهم دا أيه ، بالذمة دى عمايل.

نظر إليها حسونه من أسفل نظارته، يداه تمتدان فى طلب الوريقات.

– خلاص يا حبيبتى ، آخر مشهد، انتهيت.

وتقذف نوال بالوريقات إليه.

- دا أنا اللى انتهيت.

يتــثاءب الــزوج ، يلقى بحمله على طول ذراعيه، يتمطع.

- أول رواية اكتبهــا.

تــتحفز الــزوجة لعراك، بدأته بقولها "يافرحتى" ثم انطلقــت بســيل مــن الاتهامات المتنوعة منها التقصير والاهمال فى حقها وحق الأولاد - ثم أعقبتها بالندم على الزواج، ولم تنس أن تلوم القدر والنصيب وتلعن من كان السبب فى هذه الزيجة، التى تتمنى الخلاص منها .

ابتســم حســونه، فقــد اعتاد هذا التغريد. وحسما للعــراك، لملم وريقاته ودخل غرفته، وصياحها يلاحقه، اســتفزها تصرفه، لم يعجبها أن تعارك من طرف واحد، فالحرب من طرف واحد تماماً كالحب من طرف واحد، كلاهما يصيب هذا الطرف بالجنون، ولا ترضى نوال أن تصــاب بهذا الجنون. قامت، لحقته وسيل من التساؤلات يــنهمر من فمها، عن أخر هذا الهم، ونهاية الوهم الذى

يعايشه زوجها، والمصروف، أنها لم تر قصة واحدة من التى كتبها مما تمتلئ بها الخزانة والصوان وبطن الكنبه، تنشر. لم تسمع اسمه لا فى إذاعة ولا تليفزيون، لقد قلب حـــياتهم غمـــا وهمـــا بما يدعيه عن سرقة أعماله، حتى أصبحت لا تراه إلا كاتباً لقصص لا تنشر ولا تسمعه إلا مـــتهما للأخرين بسرقة أعماله، أو تجاهل قيمتها الأدبية، وهـــو لا يفعـــل شـــيئاً، لا يـــتحرك. يتفرج، فى انتظار الفرصة، ولا الفرصة تأتى، ولا ينتهى من هذا الغى.

ارتدى حسونه ثيابه ، لملم وريقاته فى حافظته ، بعد أن وضـــعها فى ظرف حكومى أصفر ، هم بالخروج ، اعترضت طريقه لتطرح عليه سؤالاً أخيراً يحيرها أمره، تـــرى هل هو أبله يضحك عليه الناس، أم واهم يضحك علـــى نفسه، ولم يجب حسونه ، لم ينبس بأى كلمة، فهو يعرف عاقبة الرد، لذلك آثر السلامة، وانسحب من تحت ذراعها وفتح الباب خارجاً، وحافظة أوراقة تحت إبطه.

وقفـــت نـــوال مغلوبـــة على أمرها، فهاهو حسونه

يهرب كعادته، يهرب دون أن يواجهها، ولكن لم تنس مع كـل هـذا إنه زوجها، والد أطفالها، أسرعت خلفه على السـلم، تسأله عن وجهته فى هذه الساعة.يبتسم حسونه، إنهـا مـع كل عصبيتها تحبه، تخاف عليه، لذلك أجابها بهدوء يتناسب مع حرصه على هذا الحب.

- رايح الكورنيش.

- الكورنيـش.

وتحـرك شفتيها يميناً ويساراً، بسخرية، تطلب منه الـتأكد من بطاقته العائلية، فلعل وعسى يحدث له ما "لا تحمد عقباه" .

(٦)

الكورنيـش لمـن ؟

وصـــل حسونه الكورنيش، المتنفس الوحيد لأهالى القاهــرة فـــى ليالى الصيف، ومع أن الليل قد اقترب من منتصـــفه، ألا أن الكورنيش كان مزدحما، بالباحثين عن نسمة هواء تخفف أثر قيظ النهار، بالعاجزين عن العيش فى الهواء المكيف، الباحثين عن الهدوء والراحة بعد يوم شـــاق فى عمل مجهد، العاجزين عن تمضية السهرة فى مكان آخر، الباحثين عن خلوة يتبادلون بها عبارات منتقاة محفوظة من كتب الغزل والخطابات الغرامية ، العاجزين عـــن تحقيق الأحلام بالأساليب المشروعة، الباحثين عن خلـــوة مـــع زجاجـــة "بيرة مثلجة"، أو سيجارة محشوة "بمخدر"، الواهمين أنهم بها قد ينسون متاعب الحياة.

ســـار حسونه بين الأجساد المفترشة على الأرض، حاملى ذادهم وذوادهم ووسائل تسليتهم، يبحث عن مكان هـــادئ، بعـــيداً عن الضوضاء، قريباً من مصباح ليكمل

روايته، ووجد ضالته، فمثل هذه الأماكن نادراً ما تزدحم، فالضـــياء يقلق رواد الكورنيش ، يوقظ مشاعرهم، ويقتل العاطفـــة والرغبة المتلصصة التى تحتاج لضوء خافت، يساعد على مفعول الكلمات، والجرعات، والأنفاس.

اســـتقر حســـونه علـــى عمـــود مـــن أعمدة سور الكورنـــيش، تربع فى جلسته، فتح حقيبته، أخرج وريقاته من الظرف الحكومى الأصفر، واتخذ من الحقيبة مسنداً، وأعطـــى ظهـــره للطـــريق واتكل على الله، وشرع فى الكتابة، استغرق فى الكتابة.

تـــاه حســـونه فـــى عالم الكلمات، كان من الصعب إخـــراجه منه، فقد إحساسه بكل ما حوله، ذاب فى عالم روايته. عاش بكيانه وإحساسه مع أبطاله فى عالمهم الذى ينســـج خيوطه بقلمه، احتاج إخراجه من هذا العالم جهداً مـــن صـــاحب اليد التى ربتت على كتفه أول الأمر، ثم انتهـــت بزغدة ثقيلة فى جنب حسونه، أخرجته من عالمه فـــزعاً، كـــادت الأوراق تـــتطاير مـــن يديه فعلق بها،

احتضـــنها، ثـــم اســـتدار لصاحب هذه اليد، رجل تعدى الأربعيـــن، يـــبدو على سمات وجهه أنه من أهل جنوب مصـــر ذوى العـــيون الضيقة والشارب الكثيف والأنف الغلـــيظة والوجنتين اللتين تبرز عظامهما، لا تعبران عن شـــئ إلا قســـوة أفزعـــت حسونه، الذى حاول أن يبادل صـــاحب اليد عنفاً بعنف، صرخ فى وجهه، "لا يريد أن يشرب أى شئ".

ابتســـم الـــرجل ابتســـامة متـــنمرة. "لحقها" بنعم استفسارية، تنبه حسونه. خشى أن يكون قد ارتكب خطأ فى حق صاحب اليد.

- وهو حضرتك لا مؤاخذة مش بياع الساقع.
- لا.
- أمال تبقى مين.
- الحكومة.
- نعم؟!!
- الحكومـــــة.

ابتسم حسونه ، فها هى الحكومة تأتى أيضاً إلى الكورنيش. وحاول الاستفسار أكثر من صاحب اليد "أى حكومة".

- "الحكومة اللى بتوكلكم وتشربكم وتحمى الناس من اللى زيك". لم يفهم حسونه ما يقصد، حاول أن يعثر على إيضاح من صاحب اليد، لكن الأخير نهره، طلب منه أن يتوقف عن التلاعب به،عن تمثيل دور الأبله، فهو يعرفه جيداً ويعرف أمثاله، وبدأ سيلا من التحقيق، عما يفعله فى هذه الساعة هنا.

نظر حسونه إلى الوريقات فى "حجره" ، أشار بيديه، وبدون تعبير محدد:

- باكتب.
- ممنوع.
- نعم.
- ممنوع الكتابة هنا، والقراية كمان ..هه.

نظر حسونه لصاحب اليد، يستفسر عن سبب المنع،

دون طـــائل، لـــم يجد أكثر من تعبير استنكار، وتقطيب الحاجبيـــن، وزم العيـــن لتصير أكثر ضيقاً، وفمه يفتحه دهشة لهذا السؤال الساذج.

- حـــد عـــارف بتكتـــب إيـــه ، مش يمكن بتكتب منشـــورات، عرايض ضد الحكومة.. معاذ الله ، يبقى ممنوع.

ابتســـم حســـونه، عرض الأوراق التى يحملها أمام رجـــل الحكومة "صاحب اليد القوية"، قدم الأوراق إليه، لينفى كافة الظنون، إنه يكتب رواية، موظف يحاول إيجاد ذاته، يبحث عن وسيلة يكسب بها عيشاً شريفاً.

وانفجـــر صـــاحب المعطـــف: "إنهـــا سياسة ، نعم سياسة".

حاول حسونه أن يشرح ...أن يوضح، لكن صاحب الـــيد أصر على رأيه: "موظف غلبان، مش لاقى نفسه، تعـــبان فى الشغل، مش لا قى ياكل مش كده" هز حسونه رأسه موافقاً، فهذا فعلاً ما يريد أن يوضحه.

- وحضرتك بقى اللى حتأكله وتشربه، فى روايتك.

هز حسونه رأسه بالإيجاب.

- يعـنى حاطط رأسك برأس الحكومة، وتقول مش سياسة".

يعجز حسونه عن الرد، أمام هذا المنطق الرسمى، لم يجـد أمامــه إلا أن يلملــم وريقاته، يرحل، فشل فى أن يســتميل صــاحب اليد، وهرب الإلهام ثانية من رأسه. وغضب من حولهما، لم يعجب نقاشهما عاشقين أفاقاً من نشــوة الهــوى على نقاشهما، يأخذ الحبيب حبيبته تحت إبطه، ينتقلان لمكان أخر.

يصــعد صــوت من أسفل السور، من على شاطئ النهر، لبعض الأصدقاء الذين اجتمعوا هناك حول زجاجة بــيرة وسيجارة، لقد أفسد النقاش مفعولهما، فليخرس من يناقش، آثر حسونه السلامة، ووضع وريقاته داخل ظرفها الأصــفر، والحقيبة تحت إبطه، ومشى بعيداً كنغمة شاذة فى لحن الحب والقمر، وعيون صاحب اليد تتابعه، تبتسم

، يتنهد كمن أزاح عن صدره كابوساً مسرعاً:

- "قال رواية قال ، حد عارف بيهبب إيه، مش يمكن جاسوس جى يكتب اللى شايفه ويودينا فى داهية، ولا واحد من الجرنالجيه جى يكتب حاجة تفضح م اللى بيكتبوها".

تقــدم للعاشــقين، أخـــرج سيجارة، سألهم كبريتاً، العاشــق لا يدخـــن، أخـــرج علبة سجائر كاملة، قدمها لصـــاحب الـــيد، أشار بيده أسفل السور، حيث الكبريت، "الولعة" وابتسم صاحب اليد، دس العلبة فى جيب البالطو، وصاح صيحته التقليدية :"هاه" نظر للعاشقين، وأطل على الســـهرانين أطمـــأن، كلـــه تمام ولم يعد هناك ما يخشى عقباه.

أول خطـوة فى المشوار

أدار حســونه مفتاح الشقة فى الكالون بهدوء، قلبه يــتجه إلى الله بالدعاء أن تظل نوال تغط فى النوم، تسلل إلـــى الصالة، استرق النظر لحجرة النوم، أغلق بابها فى هــدوء، أنـــار الصالة، وعاد إلى جلسته الأولى وأخرج وريقاته وأتكل على الله ليكمل روايته.

لم يشعر حسونه بخيوط الفجر التى بدأت تشق ستر الظـــلام، ولا بصـــياح الديكة التى انطلقت ترحيباً بمقدم الـــنهار، لـــم يفق على صوت بائع الفول وهو يعلن عن "اللـــوز" أكـــل الأمـــراء والفقراء، إلا بعد أن حط كلمة الـــنهاية، تثاءب، ألقى من على صدره حملاً ثقيلاً، ودخل الحمام، قبل أن تستيقظ نوال وتكتشف غيابه طوال الليل، وتبدأ سيمفونيتها.

ارتـــدى حسونه حلته الجديدة، أخرج حذاءه الجديد مـــن عُلبـــته، رفع ورق الجرائد الذى يحفظ به جلده من

الانكماش، شرب كوب الشاى بالحليب على عجل، حمل حافظة أوراقه تحت إبطه، وألقى نظرة أخيرة على نوال والأطفال، وضع قبلة على جبين الصغار، وانطلق خارجاً فى طريقه لدار النشر.

لم تكن القاهرة أكثر منها جمالاً، كما هى صباح هذا الـيوم، ولم يكن حسونه سعيداً قدر سعادته هذا اليوم، لقد أوشـك حلـم حياته على التحقق، انتهى من كتابة أولى رواياتـه، سيسلمها فى الموعد بالتمام والكمال، للناشر ، كـم كان حسونه ملتزماً طوال حياته بالمواعيد، دقيقاً فى الحفـاظ عليها، لكنه أبداً لم يكن سعيداً بهذا الالتزام قدر سعادته هذه المرة، فهذا سيعطى انطباعاً حسناً لدى مدير دار النشـر، ابتسم حسونه، اطمأن على حافظة الأوراق تحـت إبطـه، وقـف قلـيلاً على محطة الأتوبيس، مل الانـتظار. فضـل أن يسير، فالسير يضمن الوصول فى الموعد .أما الأتوبيس، فهى مغامرة غير مضمونة، مشى حسـونه، مـازال أمامـه فسحة من الوقت، فليتسكع فى

الطريق، ليسير على مهل وأن كان يتمنى أن يطير ..أن يحلــق حــتى يصــل إلــى دار النشر، لكنه الوقت، إذا فليســتمتع به، سار فى الطريق، مرفوع الهامة، وريقاته داخــل الظرف الحكومى الأصفر، وجميعها داخل حقيبته الــتى يحتضنها تحت إبطه، سعيداً ، بشوشاً ، يبتسم لكل من يراه يحيى من يعرفه ومن لا يعرفه، يود لو استطاع أن يــنقل مــا فــى قلبه من سعادة للجميع، أن يزيح عن وجوههــم كآبــة الصّــباح البادية على الوجوه المنهكة، تحســس وجهه، تطلع إليه فى لوح زجاجى بفاترينة أحد المحــلات، تأكد من زوال مسحة الكآبة الصباحية، التى يلاحظهــا دوماً على وجوه الغير. ابتسم، لماذا لم يحاول أن يبحث لها عن سبب كأديب وروائى أليس هذا واجبه، الملاحظــة والتســجيل الأدبى، أخرج وريقة صغيرة من جيــبه، ودون ملاحظــة لتكون فكرة لرواية أخرى، ألم يبشــره بذلــك عبد الحق مدير دار النشر، ألم يخبره بأن زوجة صاحب الدار بشحمها ولحمها مهتمة بروايته، وبه،

وتنبأ له بمستقبل زاهر، إذا فعليه أن يستمر، فليس المهم الوصول إلى تحقيق الحلم بل المهم الاستمرار فى تحقيقه.

قـــابل عبد الغفار زميله فى العمل ، فرصة، طلب مـــنه أن يطلب له إجازة اليوم، فاليوم "حرام فيه العمل"، أجـــازة، وعقبال الإجازة الكبرى، التفرغ، تنهد حسونه ، آه، لـــو تحقـــق حلمه وحصل على منحة تفرغ، للإبداع، ربت على الحافظة تحت إبطه، هز رأسه تمتم:

- "ليس هناك شئ بكثير على الله".

مـــر بأحد أكشاك الصحف، بهرته مجموعات الكتب والـــروايات، دقق النظر، جميعها تحمل اسم مؤلف واحد "حســـونه حســـنين حســـان" فغر فاه دهشة، فرك عينيه براحتـــيه، أعاد النظر، ابتسم، حلم يقظه، قرر أن يشترى إحداهـــا، أحصـــى ما بجيبه ورفع أحد الكتب ، نظر إلى ذيل غلافه الخلفى، أعاد الكتاب بسلام ربت عليه، اعتذر للـــبائع ، تذكـــر أن لديه نسخة منه - هدية من صديقه ، زمـــيله المؤلف، إنه أيضاً مؤلف، مؤلف جديد ، بإذن الله

ســـوف يسمع عنه، سوف يوزع مؤلفاته، فليذكر جيداً حسونه حسنين حسان ، سوف يفتخر يوماً بأنه مر من هنا،".

مازالت الساعة الثامنة، هكذا أعلنت ساعة الميدان، أكمـــل حسونه المشوار، مر على سور الأزبكية، أضاع بعض الوقت بحثاً بين مجموعة من الكتب. كومه.. أعلن صاحبها عن ثمنها أى كتاب "بعشرة قروش" فرصة، أخذ يعبـــث فـــيها بيديه، منطق، تاريخ، فلسفة، بعض أمهات الكتـــب، بعشرة قروش، "مرتجع سوقها مش ماشى " قال الـــبائع"، حمـــد حسونه الله فإنها ليست روايات، اشترى كتابين بأرخص من حتى ثمن الورق، وواصل السير.

وصـــل لأذنـــه صراخ إحدى السيدات، موظفة فى طريقها للعمل، خطف أحد الصبية على دراجة حقيبة يدها – بهـــا كـــل مرتبها ومصروف البيت – حاول البعض اللحاق بالسارق، تراجع حسونه للخلف، استند إلى جدار قريب، تحسس حقيبته، مسح بعض حبات من العرق نبتت فجـــأة علـــى جبينه، أحكم قبضته على الحقيبة، خوفاً من حدوث "مالا تحمد عقباه".

حلـــم الجعـــان

تجنـــب حســـونه الشوارع المزدحمة، فضل الطرق الجانبـــية، توخـــياً للسلامة، وصل إلى الفجالة حى دور النشـــر، والطباعة، اتسعت خطاه، أسرعت، قادته قدماه إلـــى حـــارة ضـــيقة أدت به إلى حارة أخرى من شارع مهمـــل، انـــتهى به المطاف إلى زقاق ضيق مسدود، فى نهايـــته محـــل قديم، بهتت لافتته، وسقطت المحارة التى علـــى واجهـــته، ظهرت أحشاء الحائط من دبش أبيض وحجارة، بيت قديم متهالك، لكن ولو، العبرة بالمضمون ، والمضـــمون يحـــتوى على الآلاف من الكتب، تلال من الـــروايات، الكتب المدرسية، القصص القصيرة، رصت جمـــيعها فـــى حزم فوق بعضها، معدة للنقل والتوزيع، تحســـس حسونه هذا الصرح الثقافى فى فخر. سار بين صـــفوف الكتب، حقيبته تحت إبطه، يحاول قدر الإمكان تجنـــب الاحتكاك بها حتى لا تتسخ بدلته بما علق عليها

مـــن تراب، أطل برأسه خلف بعض الصفوف، بحثاً عن الأستاذعبد الحق، نادى عليه، سعل، صفق بيديه، وأخيراً، جـــاءه رد مـــن نهاية المحل، ويظهر عبد الحق، قصير، نحـــيل، جاف، كثمرة بطاطا جافة، يرتدى قميصاً أبيض متسخ الياقة، شمر أكمامه، زاد عليه رباط عنق يبدو أنه لم يحل منذ أن اشتراه، ذقنه يملأها شعر أبيض ، أسنانه تغير لونها بفعل السجائر، علق سيجارة فوق أذنه اليمنى وفوق اليسرى قلما كوبيا، وفى قدميه قبقاباً خشبياً.

يبتســم حسونه لمقدمه، يدق قلبه مع دقات القبقاب الخشـــبى، اطمأن على صدق الوعد، ويطمأنه أيضاً على تنفـــيذ مـــا وعد به، يبارك عبد الحق هذا الالتزام، يربت بفخـــر على كتفه، يسرع حسونه بفتح حقيبته، يسلم عبد الحـــق الظرف، تنهد، أمانة ثقيلة، امال عريضة وضعها فى تلك الوريقات التى تقبع الآن بين يدى عبد الحق، يزن عبد الحق الظرف بيديه، وهو يتمتم "عظيم عظيم". يسأله حسونه، عن قراءة محتويات الظرف، يضحك عبد الحق،

وهــو يستدير تجاه مكتبه، وعيون حسونه تطل من فوق ظهره يودع وريقاته التى تدخل أحد الأدراج.

- الكتاب يبان من عنوانه.
- شكـــــراً.
- ثم ما تنساش إن الهانم مهتمة بنفسها بالرواية.
- حرم الحاج.
- عظيم ذاكرتك قوية.

ويكمل وعيناه تتابع حسونه من أسفل نظارته.

- الهـــانم راضـــية عنك، حتعملك عقد احتكار، كل شـــغلك حتنشـــره، إنت عليك تكتب، واحنا ننشر وندفع.

ويبتسم حسونه ، احتكار، إذا لا داعى للتفرغ، أليس هــذا مـــا يطمـــع فيه، مصدر رزق ثابت محترم، ونشر باســـتمرار، نظـــر إلى عبد الحق، عيناه لا تقويان على الـــنظر فـــى وجهه، الخجل والاعتراف بالجميل يعلوان وجهه.

- ربنا يقدرنى وأرد جميلك.
- يا راجل دا الفضل ليك.. لموهبتك.

ويدعوه عبد الحق للاقتراب منه، ينفذ حسونه الأمر، يقــف عــبد الحــق لكى يسمح لشفتيه بالاقتراب من إذن حسونه، ويهمس إليه بعد التأكد من عدم وجود من يسترق السمع.

- على فكرة الهانم عايزة تقابلك.
- تقابلنى أنا.
- أيـــــوه.

فوجئ حسونه بالدعوة، أمر لم يكن فى الحسبان، ولكن ما السبب، ينظر إلى عبد الحق فى قلق، يبتسم عبد الحق.

- ما تخافش الهانم عايزة تتعرف عليك، أصلها أديبة كبـــيرة لها مؤلفات كتيرة فى السوق، بكل اللغات أكـــيد قريـــت ليها الست "جى جى متولى" تلات روايـــات لحد دلوقتى نزلوا السوق، وتلاتة تانيين فى المطبعة.

- يعنى تعتبرها زميلة ، وعايزة تقابلك.
- دا شرف لا أستحقه.

وصـــمت حسونه ، ولم يمهله عبد الحق لكى يزيد، أســـرعت أصابعه تطلب منزل الحاج تليفونياً، ليعلن عن قدوم الأستاذ، ويغلق السماعة، يفرك يديه، يسحب حذاءه مـــن أســـفل المكتب، يرتديه، ينزل أكمام القميص، يضع سترته على كتفيه ويقود حسونه من يمينه، ويسير حسونه خلفه مسلوب الإرادة لا يدرى ماذا يفعل، ولا ماذا يقول، يخشى أن ينطق بحرف وينبس بكلمة، يعقبها "مالا تحمد عقباه".

(٩)

الســـوق

مـــد عـــبد الحـــق أصبعه على زر جرس باب شقة الحـــاج، انـــتظرا بـــرهة، الابتسامات المتبادلة بينه وبين حســـونه لا تفارق شفتيهما، وصل إلى أذنيهما وقع أقدام، ارتســـمت ملامـــح الجديـــة على وجه عبد الحق، أسرع حسونه بحركة لا إراديه يغلق أزرار سترته.

فـــتح الـــباب، تقـــدم عبد الحق الموكب، لم يفته أن يداعـــب الخادمة، طلب من حسونه أن يتبعه بإشارة من يديه، وقف حسونه برهة يجمع ما بقى لديه من شجاعة، تقـــدم برجله اليمنى، هكذا علمته أمه، أن يدخل أى مكان جديد بيمناه، فهذا فأل حسن، قادته قدماه وسط البهو، لا، لا يمكن أن تكون هذه شقة، قل ربع قصر، سمها أى شئ الا شـــقة، فالشـــقة فـــى عرف حسونه حجرتين أو ثلاثة بمـــنافعها، وإن فـــتح الله على شخص فيرزقه بشقة من ذوات الأربـــع غرف بأكثر تقدير، أما هذا الذى يقف فيه

فلا يمكن أبداً أن يكون شقة.. بهو رحب أقرب إلى ملعب الكـــرة، فى اتساعه، تتوسطه نافورة رخامية، لا يعلم من أين تجيئها المياه، والأنوار الملونة المتعددة، تتراقص مياه النافورةعلى أنغام موسيقى ساحرة غير معلومة المصدر، وعلى جوانب البهو الأربعة أكثر من عشرين بابا ما بين زجـــاجى معـــتم وزجاجى ملون، وجدران البهو مزدانة بكافـــة الألوان والطرز الفنية من الفرعونية حتى الهيبية، شئ أشبه بما تقرأ عنه فى ألف ليلة، شئ لا يتناسب أبداً مـــع لفظة الحاج، ولا مع شكل دار النشر، همس فى أذن عـــبد الحق، ألا يمكن أن يكونا قد أخطأ العنوان ، ابتسم عبد الحق، جذبه من كم سترته:

- "ويرزقكم من حيث لا تعلمون".
- "سبحان الله قادر على كل شئ "

تعجب حسونه، ترى أن كان هذا كله من النشر.. إن كان حال الناشر هكذا، فما بالك بالكاتب المبدع، الأصل.

قاده عبد الحق إلى الركن الشرقى من البهو، رائحة

البخور المتصاعد من مبخرة نحاسية تتوسط الركن، خدرته، الموسيقى الساحرة التى تملأ المكان ساعدت على سريان المخدر فى جسده ، أضفت على البهو مسحة من سحر، خشى حسونه أن يهمس.. أن يتنفس ، فقد يفسد النفس سحر المكان، لفت نظره لوحة رقيقة فى أعلى الحائط عليها توقيع أجنبى، أشار لعبد الحق، أوضح عبد الحق.

- الخواجه اللى عمل الديكورات.
- خواجه؟
- سبحان العاطى.
- فعلاً.
- أصل الهانم حاجة تانية، حساسة قوى، هى اللى أشرفت على كل حاجة.. فنانة.

مال عليه حسونه ، همس فى أذنه:

- عارف لو عندى ¼ شقة زى دى،ما بطلش كتابة.

ابتسم عبد الحق وهو يربت على قدم حسونه:

– شد حيلك واحنا تحت أمرك.

تعلـــو أسارير السعادة وجه حسونه، حقاً، هل يمكن أن يحقق مثل هذا الحلم ..يا سلام ، مؤكد سوف ترضى نوال عنه، ستوقد له الكهرباء بنفسها، ستنقلب حياتها إلى سعادة، هناء، تتحقق أحلامها الوردية، مؤكد لن تندم على حظهـــا الـــنكد بعد ذلك، أين أنت يا نوال لتشاركينى هذه اللحظات !! وسرح حسونه مع أحلامه، أفاق حسونه من حلمه على ركلات عبد الحق فى قدميه، لينبهه، لقد وصل الحاج وزوجته، الهانم.

هب حسونه واقفاً فزعاً احتراماً للحاج والهانم، التى تتقدم الموكب، شابة حسناء لا تزيد على سبعة وعشرين عاماً، غضة، بيضاء، مكتنزة الشفاه، لها فلجة واسعة بين قاطعيها تزيد ضحكتها حسناً، بالإضافة إلى غمازتين فى خديها الممتلئين على أقصى زوايتى الفم، عيونها واسعة، ملونـــة لاهـــى بالخضـــراء أو الرمادية، حاجبان مدببان أعملت فيهما صبغة شعرها الحمراء، والشعر تائه لونه ما

بيـــن الأحمر والأصفر والبنى، ليست بالقصيرة كما إنها ليســـت بالطويلـــة، ترتدى سروالاً جلدياً أسود لا يدرى حســـونه كـــيف ارتدته يظهر تجاعيد اللحم المكتنز على الســـاقين والأرداف والذى يتناسب مع هذا الثراء.. يعلوه بلـــوزة حرير شفافة تكشف أكثر مما تخفى، ولولا بعض الحـــياء لاستمر حسونه فى فحصها، لكنه سرعان ما دار بـــنظره التفـــت إلـــى الحاج الذى مد يديه لتحيته، وكما يقولـــون إن الشـــئ بالشـــئ يذكر فالحاج، إنسان مرح، بشوش، يبدو أنه من النوع الذى لا يحمل للدنيا هماً، ترك أمور الحياة للزوجة الشابة واهتم هو بأموره، عيناه عيناً تاجـــر، تفحص وتشترى وتبيع فى لحظة، سترته ضاقت علـــى كرشه، متصابى، يرتدى حلة كاروه، يغلب عليها اللون الأزرق، فوق قميص أحمر وسروال رمادى ويزين جيـــب السترة العلوى بمنديل أحمر، فى القدم حذاء أحمر لامـــع، تمامـــاً كالصلعة يبدو أنه يعالجها بنوع غال من الكـــريم يـــزيد لمعانهمـــا، ســـوالفه تتدلى على صدغيه

مصبوغين بلون أسود قاتم، وشارب كثيف، لكنه مهذب ، أغلب الظن حرصاً على شفتى الهانم.

قـــام عبد الحق بدور الوسيط فى التعارف، وإن كان الموقف لا يحتاج لتعارف ،لكنه أصر على أن يقدم جميع الأطراف:

– الحاج، "الخير والبركة.. "الهانم" ربنا يخليها لنا".

ابتسم حسونه.. واضح إنها "الكل فى الكل" ووجودها قـد يكـون أهـم من وجود الحاج، حسناً ليدون حسونه ملاحظاته فقد تفيد فى رواية جديدة.

ثم أشار عبد الحق لحسونه، ابتسم، مال برأسه على صدره، ثم اعتدل:

– وده بقـــى العبقرى حسونه حسنين حسان **(ح ٣)** فلتة زمانه.

ابتسم حسونه فى سره، لكن للحق أسعده هذا النفاق.

– الأســتاذ حســونه ما فيش أخوه، ما فيش منه بين جـيل اليوميـن دول، أسلوب إيه، استعارات إيه،

تشبيهات إيه، كنايات إيه، سبحان الوهاب، بس يا خســارة، الحظ،، حتة حظ، فرصة بس وأنا متأكد حتاخده لفوق ، لفوق، لفوق.

أخــذ عــبد الحــق، يشب بقامته ليؤكد على صعود حســونه، ضــحك الحاج، طلب منه أن يكتفى بهذا القدر لأنه ليس له بعد ذلك – أى فوق، أو كما قال:

- كفاية ياعبد الحق ماعدش ليك فوق بعد كده.

ثم نظر الحاج لحسونه، بعين الخبير، وأردف:

- على كل حال أنا ماعنديش مانع أساعده، بس هو ما ينشفش دماغه.

نظــر حســونه لعبد الحق، هل صدر منه ما يفسر علــى أنه "تنشيف" دماغ، غمز له عبد الحق بعينيه، عاد للحاج، حاول أن يؤكد تعاونه:

- أنا تحت أمرك يا أفندم.

- حيث كده يبقى اتفقنا.

واكتفى الحاج بهذا الاتفاق، استأذن للعودة لأصدقائه،

وتـــركهما مع الهانم "ست الكل"، فهى صاحبة الشأن فى هـــذا الأمـــر، وابتسمت لحسونه "وكمان معجبة برواياتك" وهنأه على هذا الإعجاب الذى سيفتح له أوسع الأبواب.

جلس حسونه وجهاً لوجه أمام الهانم، عيناها تلتهمه من أسفل إلى أعلى، شفتاها تعتصره، مالت بصدرها إلى الإمـــام، أخرجـــت سيجارة من العلبة الخشبية المرصعة بالصدف.. قدمت سيجارة لحسونه، اعتذر بلباقة والعرق يـــتقطر مـــن فوق جبينه، ضحكت.. رنين ضحكتها هز كيانه المضطرب، أسرع عبد الحق بإشعال السيجارة لها، جلـــس علـــى الأرض تحت قدميها أخذت نفساً عميقاً، ثم أطلقـــت ســـحابة الدخـــان فى وجه حسونه، سعل، رنت ضـــحكتها.. ضـــحك عبد الحق، وهو يهز قدمى حسونه ليضحك، كف حسونه عن السعال، صمت الجميع، عادت بنظراتها إلى حسونه.

فاجأها حسونه بسؤال : "ممكن نتكلم فى الشغل ؟ "

- أى شغـــــل.

- الرواية.
- إنت مستعجل.
- لا ، بس ، أصل.

اعتدلــت الهـــانم فـــى جلستها، وضعت ساقاً فوق الأخـــرى، أخـــذت نفســـاً عميقاً من السيجارة، ابتسمت لحسونه، ارتبك:

- أنـــا لمـــا ســـى عبد الحق قال لى على روايتك عجبتنى.. أصريت ع الحاج إنه لازم ينشرها.
- ووافق.

"عقب عبد الحق" ، وابتسم حسونه، بلع ريقه.

- الحاج ما يقدرش يخالف لى طلب.
- الدنـــيا كلهـــا تحت أمرك ياست الكل. "عقب عبد الحق" مقلداً الحاج".
- ينـــيلك يا عبد الحق، دمه خفيف مش كده.

"تسأل حسونه".

- والله مش واخد بالى . "أجاب حسونه دون تفكير".

- بس على فكرة الحاج ماوفقش بسهولة.
- خيـــــر.

بـــدأ القلق يتسرب داخل حسونه، لقد كانت الأمور تسير بخير حتى الآن، لاحظت الهانم قلقه.

- لا.. خير ، حاكم الموضوع.
- الموضوع.
- أيـــــــوه.

وأوضـــحت الهانم المشكلة، فالمواضيع الجادة غير مقبولة هذه الأيام، السياسة والمشاكل، أشياء لا تباع الآن، ولا ثمـــن لهـــا فـــى دور النشـــر الآن، الناس ملت هذه الأشـــياء.. تبحـــث عن الحب، المغامرات، الإثارة. بان الضيق على وجه حسونه،حاولت الهانم تهدأته، لم تقصد مضايقته، فقط تقرر الحقيقة.

- والعمـــــل ؟ !!
- كـــل مشـــكلة ولهـــا حلال. "اعتدل عبد الحق فى جلسته".

ربتت الهانم على كتفه ، إعجاباً:

- المنيل ده بقى حل المشكلة.
- إزاى.
- إن إحنا نغير شويه فى الموضوع.
- مش ممكن.
- الحاج برضه قال كده.. إنك مش حتوافق.
- طبعـــاً.

نهــض عــبد الحق، تقدم من حسونه، واجهه ، إنه إنسان صعب المراس، سيضيع الفرصة من يديه ، وماذا يفيد لو أجرى بعض التعديل، وفق احتياجات السوق.

- لكن القيمة الفنية.
- ومين بيدور على قيمة فنية النهاردة، الناس عايزة تنبسط وبس.

حاولــت الهانم أن تهدئ من حدتها ، طلبت من عبد الحــق الســكوت ، صمت وعاد لجلسته الأولى ، عادت بنظراتها لحسونه ، تكلمت معه بلغة السوق:

- إنت مش يهمك إن روايتك تنشر.
- أيـــــوه.
- خلاص سيب دى على.
- من غير تعديل ، أى تعديـــل.

حاول عبد الحق أن يتدخل، لكن الهانم أشارت إليه، صمت، عادت لحسونه، أفهمته أن هذا التعديل ضرورى، وإنها ترجوه، أن يجريه من أجلها، من أجل عينيها ، فهى ترى فيه شهامة ولا يمكن أن يخذل رجاء امرأة.

تعجـــب حســـونه ، ومـــا دخل المرأة والشهامة فى الرواية.

- أصل الحق أنا صعبان على الرواية.
- يبقى تنتشر زى ما هى.
- مش ممكن.

وانطلـــق عبد الحق صارخاً ، وجدها فكرة جهنمية ، الهـــانم بنفســـها تجرى التعديل، أليست أديبة، قصصية ، ويرفض حسونه، فأى تعديل يغير من الرواية، لن تكون

روايته.

- !! حســناً، صفق عبد الحق، فلتكن رواية الهانم، تصدر بإسم الهانم، فرصة تنشر الرواية ويقبض حسونه ٠ ويتم إرضاء جميع الأطراف،

وأزبــد حســونه، انتفض عبد الحق من تحت أقدام المدام، أمسك به، من كتفيه.

- إيه يا أستاذ وأنت تطول، المدام ليها تلات روايات فى السوق.
- اسمـــــى.
- يا سيدى حنسلفك اسم المدام، حد طايل، عمرك ما استلفت حاج.
- استلفت.
- شمعنى المرة دى اللى حتعصلج.

كــادت الهــانم أن تبكى، صدمها حسونه برفضه، أخرجــت منديلاً من جيب سروالها، مسحت دمعة فرت من عينيها.

- يمكن أنا مش عجباه، ولا اسمي مش قد المقام.

وينظر عبد الحق لحسونه مؤنباً، مشيراً للهانم، كيف يغضب هذه الرقة، أين إحساسه الفنى، يعود للهانم، يهدئ من حزنها.

- ما تزعليش يا هانم.. ما يقصدش.

ويصر حسونه على الرفض، لا يستطيع أن يعدل أو يوافــق علـــى التعديل، إنهم كمن يطالبونه بأن يترك ابنه لغــيره ليربيه، إن الفكر لديه كل متكامل مبدأ والمبدأ لا يـــتجزأ، لذلك فلن يبيع فكره أو نفسه ولن يتنازل، ويقف لإنهاء المقابلة.

ضـــحكت الهانم ضحكتها المدوية، قامت، فقام عبد الحـــق، دارت حـــول حســـونه، لاعبت خصلات شعره، واجهته، وهى تبتسم:

-"مسكين" كلكم كده مساكين.. علشان كده حتفضلوا ورا.. ورا.

قـــادت حســـونه مـــن يديه. إنقاد معها، فتحت أحد

الأبـــواب المـــنزلقة ، كشف عن منضدة خضراء حولها عجائـــز بـــأيديهم أوراق لعـــب، حولهـــم فتيات تداعب الخصــــلات الباقية من شعورهم، تشير الهانم لهم، تسأل حسونه، عما يفعله كل هؤلاء، يجيب ببرود "بيلعبوا".

تهز رأسها نافية:

- "لا يا فنان يا أديب، دول بيعيشوا ، عايشين، ناس فهمـــت الحياة، عارفة إزاى تعيش، تتفاهم مع بعض من غير حساسية ولا شعارات، كلهم شخصيات كبيرة وليهم مـــبادئهم، كـــل لا يتجزأ زى ما بتقول، بس مبدأهم إنك تعـــيش ورا، وهمـــا يعيشـــوا قدام. قدام الناس كلهم، دا مســـئول كبـــير فـــى شركة الورق، ودا صاحب مطبعة كبـــيرة، ودا بـــتاع النشـــر، وده بـــتاع التوزيع، إذا ما اتفهمـــناش تقـــدر تقوللـــى الدنيا تمشى إزاى،" دا زمن الشراكة، التعاون، العولمة.

يســـأل حسونه فى دهشة، إن كان هذا الناشر فمن أنتم ؟

تضحك الهانم ترن ضحكتها فى المكان.

- إحنا المونى Money ، الفلوس.

ابتسم حسونه إذا فهذه جلسة عمل، ردت عليه الهانم بنفس السخرية، "لا ، جلسة حب بعد العمل"، جاملونا فى العمـــل، نـــريحهم إحنا بعد العمل، كل واحد بيقدم للتانى حسب قدرته، من غير تنازل، ولا أبصر إيه،".

- شيلنى وأشيلك يعنى.
- مـــا أنـــت بتفهم أهه، "وتضحك الهانم وهى تغلق الباب".
- أنـــت تعـــدل، وإحـــنا نحتكر أعمالك شفت إزاى ،"وضح عد الحق".
- مش على حساب بيع نفسى وإسمى.
- مـــاحدش قال بيع حاجة ، أنهت الهانم النقاش فى عصبيه.
- الظاهر فهمت غلط ، "وهمت بالإنصراف".

وتمـــنى حســـونه أن يكون قد فهم غلط، فمن غير المعقـــول مـــا يطلبونه، ومن الصعب أن يترك الفرصة

تضـــيع من يديه، استنجد بعبد الحق، سعى خلف الهانم، رجاها أن تنتظر فهو فعلاً قد فهم خطأ.

- طيب وإيه الصح ، استفسر حسونه.

وانطلق عبد الحق يوضح له، أنهم لن يغيروا حرفاً ألا بقلمـــه هــو، ألم يسمع عن المدون ، كاتب النوتة، أن جمـــيع الملحنين يلحنون وهم لا يدونون النوتة الموسيقية يؤجـــرون إناســـاً تكتب لهم النوت الموسيقية، والألحان تصـــدر بأســـماء الملحنيـــن ألـــيس هذا من حقهم، وافق حســـونه. حسناً،"الهانم حتحكى لك على التعديل المطلوب اللى هى فكرت فيه وأنت تعيد صياغته تدونه، بس".

- أيوه بس روايتى.

- بلاش روايتك ، الهانم تحكى لك رواية تانية وأنت تدونها.

- وليه الهانم ماتدونش بنفسها حكاياتها.

تبتســـم الهانم ، مشاغل ، مشاغل وحياتك يا اسمك إيه.

وينظر عبد الحق للهانم فى حسرة.

- أصـــل الهانم لا مؤخذة كتابتها على قدها وأنت ما شاء الله أسلوبك يعنى

- وتنظر الهانم إلى عبد الحق، يدرك خطأه، ويفهم حسونه.

الهانم ما تعرفش تكتب، صعبان عليها جوزها يبقى دول لناشـــر كبـــير ومى مالهاش أسم يبقى تشترى اللى يعمـــل لها اسم، واحد محتاج، واحد صغير، واحد مستعد يبيع نفسه، وتبقى كاتبة كبيرة على حسابه.

وكله بتمنه يا أستاذ، "عقب عبد الحق".

لا مش أنا اللى أُبيع،

وتهيج الهانم فى عصبيـــة.

وأنـــت أحسن من مين ، تلاتة قبلك باعوا وقبضوا أيـــوه، قبضوا زى كل الناس ما بتقبض وتبيع، الدنيا كلها كـــده، دلوقتى، سوق بيع وشراء وكله بتمنه، كله بتمنه يا أستاذ ، يا كاتب يا أديب.

وينضم عبد الحق إلى الهانم.

- ثـــم هل تفتكر أن قصتك دى تنفع للنشر لا، لا يا أستاذ، دا ولا أنت كاتب ولا حاجـــة.

– شكراً ، شكراً ، مش عايز، مش بايع، مش ناشر.

– وميـــن حيرضـــى ينشر لك غيرنا، هاه، على كل حـــال يا سيد الناس فكر فى حالك ، القصة عندنا، والهانم ربنا يخليها حتعدلها، وحتلاقى اللى يدون، ويقبض فكر، فِكر وأقبض أحسن لك.

وتصدر الهانم أمرها

– سيبه ياعبد الحق، دا الظاهر مش وش نعمة

وإنصرفت لتعيش الحياة .يصعق حسونه، الأصول، الظرف، لقد أعطى عبد الحق كل شئ، هم أن يهجم عليه أن يخـــنقه، مـــنعه ثلاثة رجال أشداء ، لا يدرى من أين جاءوا، ويشير عبد الحق إلى الباب، تفتح الخادمة، يحمل الـــرجال حســـونه ويلقونـــه خارج الشقة. فى ثوان فقد حســـونه كـــل شئ، الرواية ، واحترامه، وأحلامه. وقف أمـــام بـــاب الشـــقة، لا يدرى ماذا يفعل، يلمح لا فتتين نحاسيتين، إحداهما بإسم الحاج رجل أعمال والثانية، باسم الهانم، أديبة وكاتبة ، يخرج قلمه من جيبه ويشوه اللافتة، دون أن يخشى مالا تحمد عقباه.

(١٠)

القـــــرار

تـــرك حســـونه المـــنزل، الدماء تكاد أن تنفجر من عروقه، "هكذا ؟ هكذا تكون الدنيا، بحر كبير تطفو على ســـطحه القـــازورات، تخفى ما بداخله من جمال، تضيع القـــيم، الكرامة فيها. آه يا دنيا، أصبح كل شئ فيك بثمن "ألـــم تصـــرح بهذا الهانم" "الأديبة، طاردته كلماتها،" كل شـــئ بثمـــنه". أســـرع فى السير، حاول أن يهرب من مطاردتهـــا، مـــن ذكرى الدقائق الماضية كان يتمنى ألا يكـــون مـــا فـــات ســـوى حلم، كابوس ثقيل ، مر عليه ومضـــى، لكنه كيف وهو يعيش حقيقة واقعة، كيف وكل مـــا حوله واقع يقظ، هاهى الطرقات بزحامها بضجيجها، الـــناس تتخبط فى بعضها ولا حتى تعتذر، صاحب الحق ضـــاع حقـــه فى غابة من الباطل، هل تكون نوال محقة عندما علقت على كل شئ بأنه لا فائدة !! هل ينتظر يوماً ليبيع ابنته كمحاسن وابتسام ، ويقبض الثمن.

إرتمـــى حسونه على أول مقعد صادفه على مقهى بالطـــريق، حـــاول أن يزيل من عينيه شريطاً مؤلماً من الذكـــريات بـــدأ بتهكم الزوجة، مروراً بسخرية الزملاء، باســـتهزاء الناشـــرين والمســـئولين فـــى نوادى القصة، التلـــيفزيون، وختاماً بضحكات الهانم. أخرج علبة سجائر اشـــتراها مـــنذ لحظات، أشعل سيجارة ، لم يعتد التدخين اشـــتد علـــيه الســـعال مـــع أول نفس، رثى لحاله صبى المقهى، قدم له النصح "اللى مش قد النار ما يلعبش بيها".

نظر حسونه إلى الصبى ، ارتجف الصبى من عنف النظرة، اعتذر حسونه، ابتسم ، شكر الصبى الذى أيقظه من غفوته، فعلاً من لم يكن كفء للنار فلا يلعب بها.

لكـــن حســـونه كفء لها، وسيلعب بالنار لن يتركها تحـــرقه وحـــده ويستسلم فليحرق الجميع قبل أن تصيبه النـــيران، ســـيجعلهم جميعاً وقوداً لنار تتوهج حتى تغير حـــياته فأمـــا أن تضـــئ طريقه ، أو تحرقه مع الجميع، سيعلنها حرباً كشمشون وعليه وعلى أعدائه.

أحصـــى حســـونه ما تبقى فى جيبه من نقود، ألقى ببعضـــها على المنضدة سار بخطوات حاسمة ، جريئة ، مـــرفوع القامة، عيناه مصوبتان على المستقبل المجهول، والذى قرر أن يقتحمه ، فكره كله لا يعى إلا فكرة واحدة تمـــتلكه استحوذت على مشاعره ، دخل إلى أقرب مكتب برقيات سحب بعض الأوراق ودون عليها:

"حتى لا أبيع نفسى وأولادى

سأحرق الجميـــــع

موعدنا الخميس القادم، الثانية عشرة ظهراً بالميدان الكبير

حسونه حسنين حسان"

وأبـــرق عشر برقيات لكل من يهمه الأمر ، فلم يعد هناك ما يخشى عقباه.

يا صحافـــة يـــا

الحـــركة متقده ، فى مكتب رئيس التحرير، جرس التلـــيفونات لا ينقطع، رئيس التحرير يتحدث باختصار، يحاول أن ينهى مكالمته سريعاً ، ليبدأ حديثاً جديداً حديثاً هاماً، يستفسر من سكرتيرته عن المكالمة المطلوبة، يأتيه الرد بعد مدة، الخط معه، يرفع السماعة، الاهتمام يغرق وجهه، يتحدث باحترام زائد مع الطرف الأخر، قد يكون رئيســـه، أو جهه لها حيثيه، يطالع محتوى البرقية التى وصـــلته مع بريد اليوم، يؤكد أنه لم يرها أحد غيره، إنها تعلـــيماته، ويصادق على ما قاله الطرف الأخر، لابد أن يكـــون مرســـلها مجنوناً، ويعده بأنه يكتشف هذا الجنان، ســـوف يكلـــف محروس فهو أنشط محرر لديهم، سوف يكشـــف أمـــره أو أمـــرهم أن كان وراءه تنظيم حاقد أو مناوئ للحكومة.

يـــنهى المكالمة بكثير من الاحترام ، يطلب استدعاء محـــروس، ويلـــبى طلبه، ويحضر محروس، شاب فى الثلاثينات ، حليق الشارب، أنيق فى الثياب، أسمر اللون، له صلعة خفيفة فى مقدمة رأسه ، عيناه لا تنمان عن أى ذكـــاء مطلقاً، وأن كان يدعيه، يعمل بجد وإصرار دون فاعلـــية، يشبهه زملاؤه "بحمار الشغل" لكن لرئيسه رأى أخر، فإصراره قادر على أن يحقق الكثير، وعدم مناقشته لمـــا يأمر به يسهل من انقياده وطاعته ، صفتان يعشقهما أى رئيس فى مرؤسه.

دخل محروس، مسرعاً، ملبياً دعوه الرئيس، يطلعه رئـــيس الـــتحرير على الأمر، يبتسم محروس، ويعرض خدماتـــه، يطلـــب منه الرئيس التروى لم ينتهى ، يتكلم الرئيس يشرح وجهه نظره ، ويطلب من محروس البحث عـــن هـــذا الحســـونه، ومن وراءه ، وما هدفهم، ويدون محـــروس التعليمات، ويترك الرئيس مؤكداً على أن كل هذا سوف يتم فى أقل من ٢٤ ساعة بإذن الله حتى يمكن

مـــنع هـــذه الكارثة التى قد تحدث فوضى، لو احرق هذا المجنون الجميع، أو فضحهم كما يقول.

ينظر إليه رئيس التحرير ، مستفسراً عمن يقصدهم بالجميع.

- قرايبه يا أستاذ.
- قرايبه ؟
- الحمد لله.
- على إيه؟
- إحنا مالناش دعوة، هو حر فى قرايبه.
- أنـــا مـــا يهمنيش قرايبه ولا هو نفسه، أنا يهمنى الحكومة، فاهم يعنى إيه الحكومة.
- مش فاهم؟
- "وبصـــراحة متناهـــية يعلـــن محروس عدم فهمه للعلاقة ما بين حرق القرايب والحكومة ، ويتطوع الرئـــيس للشـــرح، مثل أىعضو فى اى مجلس نيابى يدافع عن احدى القضايا المصيرية ، ينبرى ،الرئيس شارحاً.

- الحكومة التى تعمل على صالح الجماهير ، سوف يهتز موقفها ويتزعزع لو نفذ هذا المجنون وعده، الأعداء من حولنا كثيرون ، والحاقدون اكثر ، هذا مـــن ناحـــية، ومـــن ناحـــية أخرى البلد سمعتها السياحية والأمنية، والعملة الصعبة، كل هذا سوف يـــتأثر. ثم من يعرف ماذا لديه من مستندات ومن يقصده بالفضيحة.

فغـــر محـــروس فاه بتبلد ، فلم يدر بخلده كل هذه المشـــاكل ، وحـــاول الاســـتفادة والإستزاده من عبقرية الأستاذ الرئيس، وانطلق الأستاذ.

- "تخـــيل لو حدث مثل هذا الأمر، وأصدقاؤنا إياهم نشـــروا الموضـــوع بطريقتهم بأسلوبهم الملتوى ومنطقهم المغلوط، وجعلوا من هذا الصعلوك بطلاً وضحية للحكومة كعادتهم، واظهروا البلدة وكأنها تعيش فوضى·وفقر، وجوع، كيف يمكن لبلد بهذه الصورة أن تستقبل سائحين من يرضى أن يأتى

لهـــذه الـــبلد لـــيجوع، ليحرق ثم كيف سيستغلون رغبـــته فى الفضيحة لإحراج الجميع هناك أيضا جمعـــيات حقـــوق الإنسان وبتوع المجتمع المدنى والديموقراطـــية وغـــيرهم ممـــن يتربصون بنا ، فهمت يا أستاذ".

وتتضـــح الصورة أمام محروس ، حقاً إنها كارثة ، مصـــيبة لـــو نفذ هذا المجنون وعده ، ينصب محروس قامته ويرفع هامته ويؤكد على ما قاله الأستاذ الرئيس فى ضـــرورة البحث عن هذا المجنون ويتطوع لهذه المهمة حـــتى ولو ذهب فداءها وفداء الحكومة ، وسوف يبدأ من الأن كتابة الموضوع "مجنون يحرق أولاده".

صرخ الرئيس ، لا، ليس الآن ، إنكمش محروس ، هـــل اخطأ ، طمأنه الرئيس... لابد أن يظل الخبر طى الكـــتمان، يجـــب أن يتم الأمر فى سرية كاملة ، لم يحن الأوان لكشف الأوراق ، فالأمر إلى الأن مازال سرا.

يخرج محروس من مكتب الأستاذ رئيس التحرير ،

وكـــأى صـــحفى مـــتمرس ، يطلب مصورا ، ويحضر المصور ، بدينا مترهلاً ، يحمل عدة حقائب على صدره، كاميرته معلقة فى رقبته على استعداد دوما للعمل.

نظر محروس فى ساعته ، إنها تقترب من السادسة قـــبل المغـــرب ، مـــازال أمامهم وقت يمكنهم من كشف السر، يتشاور مع مضوره من أين يبدأ ... يطالع البرقية فى يده، يطالع الختم ويصيح فجأة ، نعم من هنا ، لابد ان تكون البداية.

(١٢)

عالـــم الأمـــان

لـــم يهدأ حسونه ، لم تشف برقياته غليله ، أحس كمـــن كـــان يقف على ارض صلبة قوية ، ويأتية زلزال قـــوى يزعـــزع الأرض من تحت قدميه ويزعزع معها كـــيانه ، يفقـــده إتزانه كله، حتى قدرته على الاتزان هى الأخرى يفقدها مع الزلزال. شعر حسونه بداخله عشرات الـــزلازل تزلـــزل جميعها كل شيء سوى بداخله ، لذلك

كـــان فى حاجة إلى البكاء، إلى الصراخ، أن يخرج كل الشـــحنة المضطربة داخل نفسه المزعزع إتزانها فربما تعود إلى بعض من استقرارها . لذلك اتجه إلى هناك ، إلـــى المقابـــر، ملاذه الأخير، كلما اضطربت نفسه بفعل الدنـــيا... وناســـها، اتجه حسونه إلى حيث يرقد الصدر الحـــنون الـــذى طالما حمله كل الهم ، صدر الأم ، الذى تركـــته مـــن زمـــن لـــيس القريب وحيداً يصارع وحده بذراعـــيه الضعيفتين تلك الأمواج العاتية فى بحر الحياة، يقـــاوم وحـــده قروشـــها وحيتانها وهو لا يزيد عن فسل صـــغير كان يعتقد أن له حول وقوة لكن ، من لا ثمن له لا قوة له ، أدركها حسونه مؤخراً، وثار عليها لذلك كان لابد من البكاء ليقوى عزيمته، نفسه، بين بشاعة المدرك وجسارة الفعل.

أرتمـــى حســـونه علـــى المقـــبرة ، احتضن شاهده بذراعـــيه وأطلـــق لمقلتـــيه العـــنان لتخرج دموعا طال احتباســـها لعلهـــا تغســـل ما بصدره من هم ... وأطلق

لحنجرته حريتها فقد توقظ الأموات صرخاته ليعينوه على عـــالم الأحياء أموات النفوس ،وانفجر فى البكاء... تماما كما كان يفعل فى طفولته على صدر الأم ، يحملها حمل صـــدره ... وسرعان ما يخف الحمل ، ويستعيد مخزونا جديد يساعده على حمل جديد ، كم شجعته ابتسامتها، كم أعطته من أمال ، كان دوما عظيما فى نظرها.

هـــدأ حســـونه قليلا نظر إلى قبر الأم ، تساءل هل يشـــكرها ام يـــتهمهاً لإنها السبب ، فى تلك الغشاوة التى أعمـــته طـــوال عمـــره ... كانت الظل الذى منعه رؤية حقـــيقة الـــناس من حوله ... ليتها صارحته بفشله ليتها نبهـــته للغابة التى يعيشون فيها ، ربما كانت مقدراته قد تغيرت آنذاك، ربما لم يفاجئ بتشيئه كما فوجئ به اليوم، ربما أصبح لامعاً براقاً مثل كل من يتسلقون على أكتاف أمـــثاله، لماذا لقنته الكرامة، وأطعمته الإحساس بالعزة، لماذا غذته على كل تلك القيم الهلامية التى لم تعد تسمن أو تفـــيد الآن، لماذا لم تفطمه على أن الإنسان قد يصير

شــيئاً ســلعة ، لها ثمنها، يباع ويشترى كالجوارى.لماذا جعلــته كالــنعامه يدفــن رأسه فى الرمال حتى لايرى مايخيف من حوله .

ربمــا كــان مضـــى العقد مع الهانم، وفاز برضاء الحاج وثقة عبد الحق. يتنهد حسونه ، يربت على الشاهد، إنه أقوى وأفضل منهم جميعاً يستمر فى البكاء، وينهار، يســقط بجوار القبر. ورأى كما يرى النائم يد الأم، تمتد تخــرج مــن القــبر تربت على رأسه تلاعب خصلات شعره، فأستسلم للنوم ونام.

لــم يدر حسونه كم من الوقت مر عليه فى غفوته، أفاق على يد حارس القبور توقظه، والسماء ستارة سوداء تحــيطه، يمزقها شعاع صاعد من مصباح سهارى يحمله الحارس بيده الأخرى، سأل عن الساعة، العاشرة يا بنى، أجاب الحارس، ياه، أنا إتأخرت قوى.

- عـــن إيـــه.

- ′والله ما أنا عارف.

شـــعر الحارس أن هناك كثير من الهم يملأ صدر حســـونه ، وضـــع المصـــباح على القبر جلس بجواره ليطمأنه، أنه يعرفه منذ كان طفلاً، كان يحضر مع والدته رحمهـــا الله، لـــزيارة قـــبر الوالد ، يتذكر حسونه، كانا يحضران إلى القبر فى المواسم، ومواعيد الزيارة، حاملى "القفــص الخوص" ملئ بالخيرات... بلح جوافة برتقال، كعـــك حســـبما أتفق بالموسم، تذكر قراء القرآن، يرتلون ثنائـــيات بجـــوار القبر، تبتسم الأم، توزع الرحمة على المرحوم ما تجود به من حملها.

كان حسونه كثيراً ما يحضر مصحف أباه معه ويتلو مـــنه القرآن، كم كانت تستعذب صوته، تفرح به كثيراً، لكن الزمن لم يمهلها، خطفها من حسونه سريعاً، بمجرد أن شـــب عن الطوق، وتوظف، لم يمنحها الزمن فرصة للفـــرح بـــه كموظف، وزوج وأب، عايش هذه التجربة بمفـــرده، ولم ينقطع عن زيارتهما هى وأبيه فى قبرهما، وأن كانـــت الـــزيارات متباعدة ، إلا أنه كان دوماً يشعر

بحاجته الملحة لهذه الزيارة، كلما أشتد به الكرب ويضيق بالحياة، ومشاكلها، يجد بجوار قبرها السلوى ويستمد من ذكرياتها الشجاعة والصبر.

دعــاه الحــارس إلـــى كوب شاى، يوافق حسونه، يجلســان فـــى الحجـرة الخشــبية، حول "طبلية خشبية، يتوسطها فانوس غازى، والحارس لا يكف عن الترحيب بحســونه بعبارات رقيقة منتقاة، والزوجة تقبع فى ركن بعيد تعد الشاى على موقدها الخشبى، هو خير ما يصنع علــيه الشــاى لأصحاب المزاج، هكذا امتدح الحارس" الموقد الخشبى"، ويقودهما الحديث إلى موضوعات شتى وينتهى بهما إلى حالة حسونه، يبتسم الحارس ويطمأنه.

- ياما ناس حلوة بتيجى هنا ترتاح زيك، تفك همها ... ماتفكــرش اللى بيعيط فى جنازة ولا جنب ميــت بيعــيط على اللى مات لا، دا بيعيط على نفســه وحالة، دى حاجة عارفها كويس ، حاكم العياط احسن دوا للنفوس المجروحة.

وفجــأة يســتدير لحسونه ، يسأله عن سبب ضيقه، يفاجيء حسونه بالسؤال، امتلأت نفسه سروراً هناك من يهــتم بآمــره مــن يحاول أن يخترق حاجز الوحدة التى يعيشــها، لذلــك لم يتردد فى الإجابة وقص الحكاية ، لم يوجــز ، قال وقال كلام كثيراُ وكأن المشاركة فكت أسر لسانه وقلبه فأنطلق يلقى بكل همومهما لهذا الحارس الذى تطــوع باختــياره لفــك طلاسم سجن الوحدة التى تطبق قضبانها على حسونه وعقب:

- الناس ياولدى
- الــناس ، مــا هى الناس ماورهاش إلا تعب قلب بعضهم
- فعلاُ
- طب ليه
- عايزنى أبيع نفسى ، أبيع حلمى ؟
- نعم ؟! "يستفسر مستنكراً ".
- أنا أصلى با أكتب قصص .

- لــيه وهــو سيادتك لا مؤاخذة مش بتشتغل حاجة محترمة !!

ابســم حســونه ، انــه يعمل بالحكومة ، موظف ، والموظف مهما كان ، ومهما فعل موظف يخنقه الروتين ، ويكــتم أنفاســه ، حقــد زملائه ، تعنت رؤساه وتسلط قــيادات مغرورة ، يقع فريسة غرور وفشل وكبر ، ولا يجــد أمامــه الا الاستسلام أو الاكتئاب أو الفرار، ولكن كيف المفر، كان يأمل فى الإبداع ، فى الرواية ، موهبة مــنحه إياهــا الله ، اعــتقد ذات يوم أنه فارسها ، لكنهم يريدونه أن يكون مطيه لفارس آخر، يحاولون أن يخالفوا الطبيعة، النواميس.

- والعمل؟

لــم يجــد حسونه ما يجيب به ، يكفيه أن يعريهم ، يكشفهم عندما ينفذ خطته.

- لكن الله أمر بالستر

- لكــن لــم يأمــر بالظلم أو السكوت على الظلم، والاستغلال .

- ونعم بالله.

تحضـــر الـــزوجة الشاى يمد حسونه يديه ، يتناول الكوب وعبارات الترحيب والاستفهام تمتزجان على لسان المضيف الذى يبدو فعلا انه لم يفهم شيئاً لكن لسان حاله تمـــتم للحظات ، "اللهم لا نسألك رد القضاء ، لكن نسألك اللطف فيه"، ابتسم حسونه فلم يعد هناك ما يخشى عقباه.

(١٣)

أول الخيـــط

كمـــا يقـــول المثل الشائع أو الحكمة الشائعة: " بأن مشوار الآلف ميل يبدأ دائما بخطوة " ، فقد قام محروس ومعـــه مصوره بهذه الخطوة. أقتحم مكتب البرق ، بحثا عن معلومات عن هذا الحسونه، عنوانه شكله أوصافه ، حاول أن يستفسر من الموظف الذى قابله بفتور، أنه حتى وبكونـــه صـــحفيا، رفـــض التعاون معه ، فالتعليمات لا تســـمح، وبقـــدر إصـــرار محروس بقدر ما كانت ثورة

الموظــف والذى كاد أن يتطاول على محروس ، محتميا فى زملائه .

خــرج محروس غاضبا ، تحاشى أن يهان ، وأمعن التفكير، والتفكير وسيلة للخلاص ، للحل فى كل الأحيان هكــذا يؤمن محروس وهداه التفكير إلى معادلة منطقية ، فالموظف مرؤوس ، إذا له رئيس والرئيس له سلطات ، قد يكون من بينها مساعدة محروس.

تلصــص محــروس ، ساحبا خلفه مصوره ، انتهز زحامــا أمــام كاتــب البرقيات دفع باب وكيل المكتب بســرعة وأغلقه خلفه ، سند الباب بظهره برهة، تأكد أنه غير مطارد، اعتذر للوكيل، سأله الأمان والحماية، بهت الــرجل لهــذا الهجوم، حاول الاستغاثة ، كان المصور أســرع مــنه، صــوره، قدم له شخصيتهما صحفيان، لا ضــرر ولا ضــرار، جــريدة حكومــية، لا فضــائح ولامهاتــرات، أخــرج هويته، تقدم محروس بابتسامة ، وقــدم هويته... انتفض الوكيل، رحب بالقادمين، لقد كان

يتمنى أن يلتقى بأى صحفى ذات يوم، إنه صاحب مشكلة يبحـــث عمن يساعده فى حلها. لقد تخطته المصلحة فى الترقـــية، ثلاثـــة أعوام طوال ، انتهزها محروس فرصة الـــتقط له العديـــد من الصور، وعده بنشر شكواه... فى الصـــفحة الأولى ما نشيت كبير، "من يساعد المظلوم" أو "دعـــوة مظلـــوم" واقـــترح الوكيل "ترقية مظلوم" ووافق محـــروس، وانطلق الفلاش، وقبل محروس دعوة فنجان قهـــوة، وبـــدوره ســـأل محروس معروفاً، معلومات عن حســـونه، ويرحب الوكيل، وينادى أحد معاونيه ويأمره ، بتســـهيل مهمـــة محـــروس، يبتسم محروس، فهكذا تتم الأمور.

يصعق محروس، تغلبه الدهشة، لقد أرسل حسونه عشـــر برقيات بالكمال والتمام، عشر برقيات، والغريب إنه ليس أول من سأل عنه إنه الثالث منذ العصر، إذا لم يعد الأمر سراً، فهناك عشر جهات على الأقل لديها خبر، مـــنها الصديق ومنها غير الصديق، إذا فلابد من النشر،

يشــكر محروس الوكيل، ولا ينسى قبل أن يغادر المكتب أن يمــر علــى موظف البرقيات، ليعرفه من هو. يسرع لمقابلة رئيس التحرير، خشى أن يتهم بالتقصير، أن يسبقه الــبعض بالخبر اليقين، وليثبت له أنه كما هو، صحفى، دؤوب، لا يكسل ولا يعطل، ولا يؤخر، بل دوماً يقدم.

(١٤)

مجلــس الأفنديــة

لــم يكــد محروس يغادر مكتب البرق، حتى اندفع موظف البرقيات إلى التليفون، طلب رقماً، أعطى ظهره للجمــيع، همــس لمن على الطرف الأخر، حرصاً على ســرية المكالمة، خاطبه بلفظة أفندم والاهتمام بادى على وجهــه، أخــبره عــن وصول محروس، أكد له شعوره بأهمــية هذه الحالة، تخوفه من جدية التهديد، إنه رجلهم ويخلــص لهم، أعطى محدثه اسم حسونه وعنوانه، يغلق الســماعة، يتــنهد فــى ســعادة فقد قام بواجبه وأخلص

لجماعــته. علــى الطــرف الآخــركان هــذا الأفندى ، ومجموعــة مــن الأفــندية، فــى اجتماع هام، لا تعنيهم خطــورة الموقــف، إنما تنحصر اهميته بالنسبة لهم فى اســتغلاله لزعــزعة موقــف الحكومة، لقد جاءهم هذا الحسونه على غير موعد بطعم كبير يمكنهم من اصطياد الحكومــة، من ضربها فى قراراتها فى سياستها، فى ثقة الجميع بها، فى سحقها على حد قول أحد الأفندية.

تــنوع النقاش البعض يؤيد حسونه ويطالب بانتهاز الفرصة لاستقطابه وإعلان مسئوليتهم عن فعلته وانتمائه لهــم، فهــو كــارت قــد يفيد ذات يوم، والبعض الأخر يعــارض خشــية أن ينكشف أمرهم وينفى هذا الحسونه انتماءه لهم، واستقلاليته فى قراره، أو أن تستغل الحكومة فرصة لضربهم وكما يقول المثل "تيجى تصيده يصيدك".

صــدقت الأغلبــية على الرأى الثانى، أن يطوعوا الموقف لخدمة أغراضهم ويظلوا بعيدين ، لايهمهم الدافع الحقــيقى أو من سيحرق حتى لو أحرق نفسه وأولاده أو

الجميع، المهم حسن استغلال الموقف وتفسيره بما يفضح الحكومة، يضعها ضمن قائمة المنتهكون لحقوق الإنسان. وتنوع التصنيف من يفضل إرجاعه لسوء الحالة اقتصادية، أو لارتفاع سعر الدولار، وأخر يرجعه لازمة الغذاء و البطالة والأخر للإسكان، وأخر يرجعها لبطش حاكم ظالم أو رئيس مستبد أو غياب الديموقراطية، كلها احتمالات واردة ويجب أن تستغل جميعها، وبدأ كبير الأفندية كلامه، فألتفت الجميع، سعل سعالاً خفيفاً، نظر لمن حوله، بدأ الحديث لحسم الموضوع، وأصدر أوامره.

- نريد هذا الحسونه، يجب العثور عليه، الحفاظ عليه، مساعدته حتى ينفذ ما وعد به أن ينفذ الحريق، وأن يظهر مستندات الفضيحة، هذه فرصتنا وحرام حرام أن نتركها.

هب شكرى أفندى، بحلته السوداء وقفازه الأسود وحقيبته الجلدية القابعة بجوار حذائه اللميع الأسود، متطوعاً لتنفيذ أوامر الكبير، ولو ضاعت روحه فداءها

فكـــل شئ يهون أمام رغبات الكبير، سوف يعمل جاهداً علـــى أن يحرق حسونه الجميع، وإلا فلن يكون لشكرى نفسه وجود للأبد.سوف يحضره، ويحافظ عليه، ولو كان فى بطن الحوت.

(١٥)

الصباحيـــــة

لـــم يستطع كوب القهوة المر الذى شربه حسونه أن يســـاعده على مقاومة النعاس، التغلب على إرهاق الليلة الماضية على كل إرادة للاستيقاظ، ولم يجد حسونه مفراً مـــن الاستسلام للنعاس، ارتدى نظارته القاتمة السميكة، استلقى برأسه على مسند الكرسى الخلفى وضع يديه على المكتب أمامه ، وضاع فى النوم، وهذه إحدى حسناته.

كـــان حسونه قادراً على النوم فى أى مكان، وبأى شـــكل، واقفـــاً، وجالســـاً مغمض للعينين ، غير مغمض العينين أحياناً، ولم يكن استسلامه للنوم لكسل فى طبيعته

بل فقط عندما يشعر بالجهد العقلى، عندها لا يستطيع أن يقـــاوم، وهكـــذا التحف بنظارته السميكة، وضرب بكل ماحوله عرض الحائط، ونام، معذور، لقد أمضى ليلته فى المقابر.

مـــن حسناته أيضاً "النوم الخفيف" بقدر سهولة النوم لديه، بقدر ما يكون أسهل فى الاستيقاظ ، دبة النملة كما يقولـــون توقظـــه ، لذلك لم يكن مستغرباً استيقاظه على صـــراخ رئـــيس المكتـــب، اعتدل حسونه، رفع نظارته السميكة، نظر إلى كوب القهوة أمامه، رشف ما تبقى به، نظر لرئيسه المهتاج، وألقى عليه تحيه الصباح، ولم يرد ســـيادته علـــيها لا بأحســـن منها ولا بمثلها ، بل بأسوأ كالعادة، ابتسم حسونه، يحاول تهدئته، لكن الأخير لم يقبل الابتسامة، والمحاولات العديدة لتهدئته، زادت من انفعاله، ودعا الله أن يخلصه من هذا المكتب ومن حسونه بالذات، لـــم يفهم حسونه بادئ الأمر سر هذه الثورة الخلاصية، لكن بعد برهة أدرك السبب، إنها مشكلة الورق.

لقد توهم سيادته أن هناك إسرافاً فى استخدام الورق الحكومى، المال العام ومادام الأمر متعلقاً بالورق، فلابد أن يكـون حسـونه هـو المـتهم، أليس هو من يمارس الكـتابة.. التألـيف ، وأكـد نظريـته بالتوجه لحسونه بنظراته، وتوجيه حديثه إليه:

– أنا عارف الورق ده بيروح فين، أنا مش عبيط.

تمـالك حسـونه نفسه، حاول أن يوضح خطأ هذه الـنظرية، لـيس بالضرورة من يكتب أو يؤلف ، يسرق ورق الحكومة، يسرف فى استخدامه، فراتبه يضيع على ثمـن الـورق، مشاكله مع نوال من أجل شراء الورق، ويمكـن إثـبات ذلك بالفواتير بشهادة أصحاب المكتبات، لكـن سـيادته لا يعجبه هذا المنطق ويصر على صحة نظريته، وينظر لحسونه فى تحد:

– مـن يسـرق وقت العمل يا أستاذ ممكن يسرق الورق، أيوه.

ويـنفجر فى حسونه محاسباً إياه عما يفعله فى وقت

العمـــل الرســـمى، لا شـــئ، قـــراءة ومطالعة ومناقشة سفسطائية مع زملائه يضيع عليهم وقتهم، أين الأمانة إذا، لمـــاذا أبـــاح لنفسه سرقة الوقت، وينفى سرقة الأوراق، عجايب.

لـــم يستطع حسونه على ما يدور صبراً، انفجر فى ســـيادته فيمـــن حوله ليس أول ولا أخر، من لا يجد شئ يفعله فى وقت العمل، ليس أول ولا أخر من يقرأ ويأكل ويتفلســـف ويسفسط فى العمل ، ويتحدى من يثبت عكس ذلك، أما بالنسبة للورق، فلماذا لا يكون سيادته بنفسه من يســـرف فـــى استخدامه، من يصنع منه كشاكيل لأنجاله الكرام من يأخذه لهم ليذاكروا فيه، لماذا لا يكون الأفاضل من زملائه المسرفين أولئك الذين يستخدمونه فى كل شئ حـــتى فى المرحاض أجميعهم عادلون منصفون أمناء ؟ وهـــو وحـــده المسرف، لا، إنه، حقد، حسد، لقد سئم هذا الكـــبر والجهـــل والغرور، وسيتركهم، سيتركهم جميعاً ليـــندموا، ســـوف يندمون جميعاً عندما يعرفون من هو

حســـونه حسنين حسان ذاك الذى كان يوماً بينهم واتهموه ظلمـــاً بالإســـراف فـــى الوقت والورق لسوف يندمون ولسوف يندمون.

انطلـــق حسونه خارجاً، ونظرات السخرية تلاحقه، واتهامات الجنون والخبل تودعه . وجلس سيادته وحوله رهـــط مـــن المنافقين، يتفاخرون بفعلته التى حققت حلماً كبيراً فى أن ينجلى هذا الحسونه عن المكتب فقد أرهقهم بضميره الحى، وصحوته ونزاهته وفكره المنحرف، لكن الفـــرحة لم تتم، استدعى رئيسهم الأستاذ بسيونى لمقابلة الوزيـــر، الوزيـــر شخصياً، وقف الرجل ساهماً أو كاد، المدير يمكن وكيل الوزارة، يحسب الحسبة قبل أن يقابله أما الوزير، نظر لمن حوله يستمد عوناً، شجاعة، لم يجد إلا التـــبلد والانشغال الزائف بأعمال لا وجود لها، يضع سماعة التليفون يجر أقدامه إلى مكتب مدير مكتب سعادة الوزير، يفتح له الباب، يدخل على سعادة الوزير، لم يكن الوزيـــر وحـــيداً، برفقته جمع من الوجهاء المهمين سئل

بســيونى عن حسونه، سلوكه، تصرفاته، أوراقه هل هى معــه أو يأخذها لمنزله، وقال الرئيس الحق، كل الحق لا يســمح لأحد بأن يأخذ أى مستند معه، وحسونه للحق لا يفعلهــا، نظرات الاستغراب على الوجوه، يلحظ الرئيس شيئاً غير طبيعى بالجو، يفضل الصمت، يعاد الاستفسار عــن مــيول حسونه السياسية أصدقائه، لم تضف إجابته شــيئاً يشــفى، يفرغ صبر الجميع، يطلقها أحدهم إذا لا داعــى للقلــق، يبدو إنها زوبعة فى فنجان، ولا يملك ما يمكن به أن يفضحنا.

- معــاذ الله، ماعاش اللى يفضح سعادة أى سعادة منكم.

يســكته أحدهــم بنظره، ويصرفه الآخر بإشارة من ســبابته ويسمع وهو فى طريقه ابتسامة وتنهيدة ارتياح، وأمــرا بتشكيل لجنة جرد وفورية لفحص ملفات وعهده حســونه فــالحذر واجــب على كل حال والاحتياط الآن أفضل من انتظار مالا تحمد عقباه.

الدخــول فى الممنــوع

كـــان لابـــد مـــن البحـــث عن حسونه، هكذا قرر محـــروس، لذلـــك انطلق إلى سكنه بعد أن حصل على عـــنوانه من مكتب البرق، سحب المصور خلفه وانطلاقاً بيـــن شـــوارع وأزقـــة السيدة زينب بحثاً عن حارة "أبو نبوت" حيث يسكن حسونه ، اخترقا شارعاً ضيقاً، فشارع أخر حتى وصلا إلى حارة ضيقه رصفت أرضيتها ببلاط قديـــم مربع الشكل، على جانبيها أكوام القمامة، يبدو إنها قـــد أهملـــت مـــنذ زمن أو محيت من خريطة العاصمة، منازل متهدمة أو تكاد، نوافذ ضيقة متعانقة مليئة بالغسيل ذى الزهـــرة الداكنة، المياه الراكدة أمام الأبواب أصابها العفـــن، نمـــا عليها الطحلب، السيدات بملابسهن المنزلية مـــتجمعات فى حلقات أمام الأبواب، أو حول بائع جائل يقـــايض علـــى بعض الروبابيكيا فى مقابل طبق أو إناء بلاستيك يحيين به ضيوفهن . يقود محروس فى اختراقه

لهـــذه الغابـــة صبى صغير، تطوع للعمل كدليل، يعرف مكـــان المـــنزل، يـــنطلق بهما حيث رهط النساء اللاتى ســـرعان ماتجمعن حول هذين الغريبين، يدرن ويفحصن كما يدور المجذوب حول ضريح ولى يعتقد فى كرماته، وبـــدلاً مـــن الدعـــوات انهـــارت ســـيول مـــن الأسئلة الاستفسارات ،و تضيق الدائرة حول محروس والمصور اللذيـــن تقابلا بظهريهما، يحمى كل منهما الأخر، حاول محـــروس أن يهدئ مِن خوفهن أن يستسمحهن فى كلمة، فـــى ســـؤال، أعطوه الفرصة، سؤال واحد فقط، وانتهز محروس هذه الفرصة سأل عن حسونه، أو زوجته.

اخترقـــت الدائـــرة امـــرأة ترتدى السواد، تعتصب بعصـــبة ســـوداء تغطـــى رأسها، عريضة المنكبين، لها صـــوت أجـــش بعيداً عن رقة أصوات النساء، يبدو أنها زعيمة هذه الحارة، .أمسكت محروس من سترته ، جذبته تجاهها:

- وعايزيه منه إيه.

- ولا حاجة عايزين نطمئن.

- انتم مين.

ويشــير محــروس لزميله والكاميرا، التى يحملها، يحاول إخراج بطاقته الشخصية ليقدمها لصاحبة الزعامة:

- إحــنا صحفين، جرنا لجيه، عايزين شوية صور ونطمئن عليه ونمشى على طول.

اندفعــت عجــوز مــن نهاية الحارة، تحثها على الاستمرار فى الاستفسار:

– أسأليه هما مالهم وماله النهاردة، عايزين منه إيه؟

وأشارت الزعيمة برأسها تجاه السيدة، تطلب إجابة، وبالطبع لم يفهم محروس سر السؤال، فطلب توضحياً.

- دول يجوا عشر تنفار جم سألوا عليه النهاردة، هى إيه الحكاية، "عقبت شابه صغيرة بجوارها".

- دول ثلاثة بس يا أمه.

ويتــبادل محــروس والمصور النظرات، ثم يسأل الشابة:

- وهو فيه حد سأل عنه غيرنا؟

- ثلاثة قابلكم بس باينهم من الحكومة.

بـدأ الصـحفى داخـل محروس يتحرك، انزاح الخـوف عن قلبه واخرج ورقة وبدأ يكتب، لكن العجوز حذرت الجميع من الكلام، حتى لا يضار حسونه.

حـاول محـروس..لكـن .. لا فائدة، إذا زوجته ؟ "تجئ" إجابة مقتضية، خرجت تبحث عنه هى الأخرى.

وأحـس محـروس بالفشل، لكن الشابة تقدمت منه، ابتسـم لهـا، اطمأنت وفجأة انهارت عليه بالأسئلة:" ماذا فعـل، هـل حقـاً سرق سرقة كبيرة كما يقولون أم قتل قتيل؟". وانبرى الجميع مدافعين عن حسونه ، "إنه أطيب خلـق الله لم يؤذى أحداً" ، "لسانه ينقط عسل" "إبن حلال" "إحـنا مربيـنه وعارفيـنه كويس" "راجل وشهم"، لكن إحداهـن تختلف فى الرأى فهو "ساهى" "مخادع" ينطبق علـيه القـول "يامـا تحت الساهى" وتدور تذكر النساء، بأفعالـه، أنهم لا يعرفوه، لايعرفوه، لا علم لهم بما فعله،

ثـم تحـاول نصح النسوة، لماذا يخفون حقيقته، إنهم قد يعتـبرونهم شـركاء معه ، نعم، فما تدرى ماذا فعل، ثم تـندفع تجاه محروس لتدلى بالحقيقة، ولتعلن عن نفسها، ويطمئنها محروس يبدأ فى التدوين، وتبدأ فى الاعتراف، والاستعداد للتصوير.

- كان دايما يكتب ويكتب، كلام زى بتوع السياسة حاجـات كـده عـن الجوع والحرب والخوف، والديموقراطـية، وحـرية الـرأى، "تبتسم" إنها متعلمة، لكنه البخت.

واسـتمرت فى الأدلاء بتصريحاتها،والنسوة تتهمها بالمخادعـة وحـب الظهـور والخيانة لحارتها من أجل صـورة فـى جـريدة، إنها طوال العمر هكذا "غازيه" وتتصرف كالغوازى.

ويسأل محروس عن عمله، عنوانه، وتجيب الغازية، فـى وزارة التموين هـناك فى التحرير ، وتنظر إليها النسـوة نظرة، ريبة، يحيطونها بنظراتهن فهن يستفسرن

منها بصمت عن سر معرفتها بعنوانه، تحاول الهروب لا مفـــر، تصرخ فيهن:" أنسوا إنه كان خطيبها قبل أن تأتى هذه النوال وتخطفه منها".

يشـــعر محـــروس ببداية هبوب عاصفة فقرر أن ينصـــرف، قـــبل أن تقوم القيامة، ولايجد مهرباً إلى بر السلام.

(١٧)

أجـازه مدفوعــة الأجـر

غـــادر حســـونه المصـــلحة سعيداً، أزاح عن نفسه كابوســـاً ثقيلاً، أشفى غليلة، من الحاقدين، الحاسدين، أخذ بـــثأره مـــن رئيسه، لذلك قرر أن يحتفل مع أولاده بهذه المناسبة.

اقـــترب من محل فاكهى، تذكر إنه لم يشترى فاكهة مـــنذ مـــدة، ابتسم "يالا إنشاء الله ماحد حوش "لقد انشغل عـــنهم بالكتابة، بالجرى وراء النشر، ابتسم، تعجب لهذه

الكلمة، مؤكد مصدرها النشر من المنشار، الذى يأكل فى صعوده وهبوطه حاول أن ينسى تجربته، ولايفكر إلا أن فى الاحتفال.

وقـــف حسونه أمام الفاكهى، داعبت عينيه صفوف الفاكهـــة ، دار بعينيه بين لافتات الأسعار ، ويده تداعب القـــروش الباقية فى جيبه، استقر الرأى على كيلو عنب فاكهـــة حقيقية محترمة ، ويناسب سعرها ما فى الجيب، اقترب منه الفاكهى بابتسامة يخفى نصفها شاربه الكث:

- عينى يابيه؟
- تعيش كيلو عنب.
- نعم؟
- "أطلقهـــا الفـــاكهى برنة استنكارية غريبة" أدركها حسونه، الذى أسرع يخفى خجله بالكلمات.
- أصل أنا بقى وحدانى ، وكيلو يدوب يكفى غدوة، إنما لو عايز تبيع لى أكثر ماعنديش مانع، بس.. بقـــى مشكلة .. أنا لوحدى والثلاجة مش شغالة، شوف أنت بقى.

أنطلــق حســونه فــى ســيل من التبريرات، التى أضــحكت الفاكهى، كم مر عليه من زبائن مثل حسونه، وقبل العذر، ودخل المحل، وقف حسونه يداعب صفوف الفاكهة بعينيه، اختلس بأصابعه بضع حبات من عنب من قفــص بجوار قدميه، أكلها لم يستطعمها ، خرج الفاكهى من داخل المحل، حاملاً كيساً من العنب، يقدمه لحسونه.

- عنب حتا كله وتدعيلى.

ابتسم حسونه، لهذه المجاملة ، أحصى ما بجيبه، قدم للفــاكهى ثمــن الكــيلو كل ما معه، ونظف يديه، ابتسم الفــاكهى ، طلب مضاعفة المبلغ، تأكد حسونه من الكمية فعــلاً كــيلو، إذا لمــاذا يضــاعف الثمــن، والعنب لم يســتطعمه.ابتسم الفاكهى ، لقد أعطاه من العنب الخاص، "عنب الناس الحلوين" ولم يفهم حسونه ، ويبدو أن هناك أشياء كثيرة لا يفهمها هذه الأيام، فأشار إلى لافتة السعر، التسعيرة، العنب القابع بجوار قدميه.

– "آه لامؤاخــذة ، دا بــتاع الــناس التانــية بتوع

التســعيرة" حضـــرتك طلبــت حاجة خصوصى، ده بقى الخصوصـــى، اللـــى يـــتأكل خـــالى من الكيماوى إنما التســعيرة، لا مؤاخــذة منظر، ديكور علشان العين كل حاجة وليها ثمن ياأستاذ.

نفــس الكلمة، نفس الملاحظة ، فعلاً حتى فى العنب كـــل شـــئ له ثمن، القى حسونه الكيس بذراعيه للرجل، خطــف النقود من راحتيه والغيظ يملئ عينيه وانصرف أمام دهشة الفاكهى وهو يضرب كفاً بكف وبغضب.

– عالم عايزة تعيش بلاش.

انطلق حسونه عائداً لمنزله، وكما يقول المثل جاءت الحزيـــنة تفرح، ولكن لا، لا يمكن أن يكون من ثار على رئيسه، حزيناً، ولابد أن يكمل الحفل مع أولاده بطريقته، أن يمـــنح مافى جيبه لنوال ويشترى صمتها سكوتها عنه فهذا أفضل، راقت له الفكرة ، سار واضعاً يديه فى جيبه واتكـــل علـــى الله إلى نوال، لكنه ما كاد يخطو خطواته الأولـــى فـــى شـــارعه حتى قابله أحد أولاد الحلال من

جيرانه، جذبه من يديه، أبعده عن نهر الطريق،محذراً.

- خيـــــر؟

- ماتروحش دلوقتى.

- نعـــــــم.

- الدنيا مقلوبه م الصبح عليك.

- مين بالضبط.

- ماعـــرفش لكـــن كل ¼ ساعة واحد يجى يقول حسونه فين حسونه.

وابتســـم حسونه، ابتلع ريقه، إذا، فالبرقيات وصلت وبـــدأ المشـــوار الذى اختاره، شكر حسونه إبن الحلال ، اخــــرج ورقـــة من جيبه دون عليها كلمات طلب منه أن يعطـــيها لزوجـــته، أضاف إلى رسالته ما معه من نقود، أوصاه بهما والأطفال خيراً.

تســـلم إبـــن الحلال الرسالة، لم ينس أن يسأله عن ســـبب الســـؤال عـــنه إنه يعرفه مسالماً وديعاً بعيداً عن المشـــاكل ولـــولا هـــذا لمـــا تورط فى مساعدته.يطمأنه

حســـونه، لم يفعل ما يجرم، فقط يحاول أن يطالب بحقه، أن يفضح سارقى حلمه ، خانقى الأمل فى صدره، وقبل أن ينطلق كل فى طريقه تعلق إبن الحلال بيديه، يرجوه ، يوصيه بأن يحذر ويهتم بنفسه وأخيراً:

- يعـــنى لـــولا سمح الله مسكوك، بلاش تقول إنى شفتك إنا غلبان وصاحب عيال ومش حمل بهدلة.

ابتســـم حســـونه وطمأن ابن الحلال، وعذره، فهو مسكين فعلاً لأنه يخشى مالا تحمد عقباه.

(١٨)

الرّجــل الغامــض

جذب شكرى بحلته السوداء والقفاز الأسود وحقيبته السوداء انتباه الجميع، وخيم الصمت على المكان، العيون كفـــت عـــن أن تفعل أى شئ سوى متابعة ذلك المجهول المســـربل بالسواد والذى يسير بخطوات عسكرية داخل الممـــرات المصـــلحية، يرفع قدمه، وينزلها بالكعب على

بلاطات الأرض المتآكلة، عازفاً إيقاعاً لمارش عسكرى، لـــم يعد يسمع فى المصلحة إلا نغماته ، والغريب إن هذا الغريب كان يعرف المكان جيداً، يعرف وجهته دون دليل أو مرشـــد ، تحولت الرهبة إلى شعور بالخوف من هذا المجهـــول الواثـــق من نفسه، المقتحم للمصلحة، انحنى الجمـــيع له كلمـــا مر بأحدهم، حتى سكرتيرة المدير لم تســـتطع أن تـــتفوه بكلمة كل ما استطاعته أن قفزت من على مكتبها اندفعت لتفتح باب مكتب السيد المدير ليدخل الغامض هذا دون استئذان ، وأغلقت الباب.

لـــم يتمالك المدير نفسه، لمرأى هذا الغامض، نظر إليه برهة وهو لا يدرى ماذا يفعل لم يستطع حتى قراءة الكـــارت الذى قذف به الغريب على مكتبة ، ابتلع ريقة. رفـــع الغامض يده اليمنى أنزل نظارته السوداء، أوحت نظـــرته للمدير ببعض الاطمئنان، بلع ريقه، قام من فوق كرســـيه، وصـــمت حتى التحية لم يستطع أن ينطق بها، وقفت الكلمات فى حلقه، وكسر شكرى حدة الخوف نطق

وهــو يجلــس علـــى أحد المقاعد المواجهة لمكتب السيد المدير ، وبهدوء شديد:

– حسونه حسنينٌ حسان .. موجود؟

ابـــتلع المدير ريقه، أمسك ورقة كانت على مكتبه، قدمها للغامض.

- كان موجوداً الصبح، وحصل سوء تفاهم.

أشـــار إليه الغامض بيده ثم نظر إليه طالباً منه ألا يسترسل:

- عارف، المهم موجود؟

- ما أعرفش.

يقــف الغــامض، يــتقدم، إلى المدير، يدور حول المكتــب يعطـــيه ظهـــره وهو يعبث بإحدى الكتب على المكتبة الزجاجية الفخمة التى تزين مكتبه:

– ازاى ماتعرفش، مصلحة كبيرة، سيادتك مديرها، المفروض تعرف كل حاجة.

– يا أفنـــــدم

- مش مهم دلوقتى، لينا كلام فى ده بعدين

- أمـــــرك

حـــاول المدير أن يصلح خطأه، إن كان لا يعرف، فمن المؤكد زملاؤه يعرفون، نعم، لابد أن يكون زملاؤه يعـــرفون، ولـــم يمهل الضيف لحظة تفكير، رفع سماعة التليفون وأصدر أمراً:

-كل زملاء حسونه يحضروا إليه الأن، وفوراً.

يدخـــل جمـــيع الزملاء ، يصطفون أمام الضيف الغـــامض، يقدمهـــم إلـــيه المدير، ليخلى مسئولياته يقف شكرى أمامهم، يتفحصهم، يفتح حقيبته يخرج منها حزمه من الأوراق، يطالعها، ينظر إلى الجميع، يتفحصهم بعينه فـــرداً فـــرداً، الخـــوف يعلو وجوهم، يعيد الأوراق إلى الحقيبة وهو يكاد ينفجر ضاحكاً من هول الرعب البادى فـــى أعيـــنهم مـــن وريقاته البيضاء، لمح خوفاً قاتلاً فى أعيـــنهم، الدمـــاء تكاد تجف فى عروقهم، وقلوبهم تسمع دقاتهـــا فـــى نهاية الطريق كما يقولون يمر على الصف

وفجأة، يستدير إليهم، وهو يهمس؟

– هو فيـــــن؟

ويســـتمر الصمت، فلا يجد أمامه إلا أن يصرخ فى الجميع:

– فين حسونه حسنين حسان؟

وينطق الجميع فى نفس واحد، ككورس فى مسرحية أغريقية:

– مانعرفش

ترعـــب صيحتهم شكرى فيسقط فوق اقرب مقعد، كاد أن ينكشف أمره، تماسك محاولاً أن يمنع دموعه أن تسقط من عينيه:

- "ماتعـــرفوش ، هـــه أمال مين اللى يعرف، هه، مـــاهو لازم حـــد يعـــرف أيوه لازم حد يعرف ويعرفـــنى، علشان أعرف. وأعرف أتخذ موقف أيوه لازم نتخذ موقف، وإلا، بيوتنا تتخرب الدنيا كلها تتخرب.

"فاهمينى".

تماسك، وقف أمام كرسيه وعدل من سترته.

يتبادل الصف النظرات، لم يفهموا شيئاً، يلاحظ شكرى علامات الاستفهام التى تعلو وجوههم، يخشى الجدل، يخشى أن يفقد سيطرته على الموقف، يتمالك نفسه، يعود لمواجهتهم.

- بلاش ده، تعرفوا إيه عن حسونه حسنين حسان؟

ويتطوع الجميع للإجابة، يحاولون إرضاء هذا الغامض، يحاول المدير المساعدة، يأمرهم بتنظيم إدوارهم، حتى يليقوا بانتسابهم لهذه المصلحة المحترمة، ويطيع الجميع ويبدأ الأستاذ بسيونى، رئيس القسم، يتقدم الصف وهو يرتجف، يغلق سترته تارة، ويفتحها أخرى، يخشى أن ينطق بما يحاسب عليه، يتلعثم، يصرخ شكرى فى وجهه، ليتكلم وإلا:

- حاضر، حاضر، أصل الحقيقة مش فاهم سيادتكم عايزنى أقول إيه بالضبط؟

– الحقيقة يا أخى رأيك فى حسونه حسنين حسان.

– فى إيه يا لضبط؟

– فـــى كل حاجة يا أستاذ ، شخصيته شكله سلوكه ميوله، أى حاجة.

– كده كويس، اتنورت، الحقيقة هو كويس.

- كويس ؟

ويفاجـــئ بســـيونى بالامتعاض يعلو وجه الغامض، يشعر بأنه قد أخطأ، يتدارك الموقف.

- أقصــــد كويس أن حضرتك سألتنى أنا، أصلى أنا عارفه كويس .
- ويـــنظر شكرى للمدير ليعاونه ويتأكد لبسيونى أنه قد أخطأ فعلاً،وإنه يجب أن يتكلم:
- حاضر، سيادتك ما تزعلش نفسك أنا حا أتكلم حا أقول.

وينقذ أحد الواقفين الموقف، بطلب الكلمة، يعطيها له شكرى، ثم يطلب الأمان، يغضب شكرى، يعتذر المتطوع

لكنها الحياة، فهو صاحب أولاد ويخشى أن يضار أن قال الحقـيقة ، يطمئنه شكرى، يبتلع ريقه، ثم يهمس فى إذن شكرى:

– الشهادة لله هو ماكانش مضبوط.

– إزاى؟

– يعنى كان بيعمل حاجات مش تمام.

– إزاى؟

– حكاية الكتابة والقصص اللى طالع فيها دى.

وتشجع زميل أخر.

– دا فاكر نفسه نجيب محفوظ وحتى أكتر، ماكانش له شغله إلا الروايات والقصص.

– دا حـتى إحنا شايلين كل شغله وهو لا شغله ولا مشغلة.

واندفع آخـــر.

– كل ماحد يكلمه يكتب قصة.

وأخر

– بصراحة إحنا كنا لسه حنشتكيه، بس الواحد كان مستحرم، برضه صاحب عيال.

وبـــدأت الألسن تفك من لجامها، والتهم تنهال على حســـونه، والاتهامـــات مرتبة، موظف كسول ، مهمل، طموح بدون وجه حق، "مدعى لا موهبة ولا دراسة ولا يحـــزنون". يبتسم شكرى ، يطلب صورة، لحسونه، هل يحمل أحدهم صورة له، وينكر الجميع، "مالهم وماله"، لم يكن صديقهم ولا يشرفهم صداقته.

ويـــندفع المدير ليعاون، الأرشيف أكيد فى الأرشيف ملفه به إحدى صورة.

ويتحرك الجميع لإحضار الصورة، للهروب من هذا الموقـــف الشائك يخشى المدير أن يتركوه وحيداً، يأمرهم بالبقاء، سوف يطلبها بالتليفون، يبتسم وهو يدير القرص فقـــد اســـتطاع أن يبقيهم، هرب من مأزق أن يستفرد به الغامض.

يدخـــل موظف حاملاً الصورة فى يده يشير المدير

للغـــامض يناوله الموظف الصورة، يطالعها يضعها فى الحقيبة، يغلق الحقيبة يعود للجميع:

- دا رأى نهائى فى حسونه؟

يتبادلون النظرات، يسأل أحدهم.

- فيه حاجة غلط؟

وانفجـــر المدير يقسم بالطلاق بأغلظ الإيمان أن كله تمام مضبوط.

ابتســـم الغـــامض واستدار، انصرف دون أن يحى أحداً، تركهم فى أماكنهم جامدين، كمن خيم على رؤوسهم الطير. بهرتهم مفاجأة الحضور ومباغتة الإنصراف شلت حركـــتهم، وعـــندما بدأ الجليد فى الذوبان، بدأت الدماء تـــتحرك فـــى عروقهم، تبادلوا النظرات، تنهدوا، تنفسوا الصعداء، لقد قالوا ما يرضيه أليس كذلك، قالوا مانجاهم مـــن بطشـــه ماكـــان يبحث عنه الناس أمثاله لا تعنيهم الحقيقة، هؤلاء، ولم يجدوا اسماً ولا صفة يمكن إطلاقها علـــى الغـــامض وأمثاله، غير الغامضين، إنهم دائماً لا

يبحـــثون عن الحقيقة إذ إنهم لو عرفوا الحقيقة لما سألوا عنها، بل يبحثوا عما يريدون ونحن قلنا ما يرضيه لذلك ارتـــاح الموظفون فقد قالوا ما يرضيه عن حسونه، ولكن مـــاهى تهمته، ماذا فعل، قفز السؤال فجأة بينهم كما يقفز النبت الشيطانى.

تبادلوا النظرات، التفتوا لمديرهم، لم يجدوا عنده ما يشـــفى غلـــيلهم، يهز المدير رأسه علامة، النفى، فهو لا يعرف، إذا من هو هذا الغامض من أين جاء ولمن يعمل ؟، يعـــود المدير إلى مكتبه، ينظر للكارت الذى قدمه إليه الغـــامض، يقلـــبه بين يديه، ويمده إليهم، إنه كارت خال أبـــيض ، يبتســـم المدير غيظاً، ويرد وهو يتهاوى على مقعده ، لا أعرف ، لا أعرف،!!

(١٩)

البحث عن حسونه

لـم تستطع نوال الانتظار، غاب زوجها، بات ليلته فـى الخارج، وجاء من يبحث عنه، تركت صغيريها فى رعاية إحدى الجارات، تطوع بعض أولاد وبنات الحلال بمرافقـتها، سـاروا حـيارى لا يدرون من أين يبدأون، علامـات الاستفهام بكثرتها تزيد من تخبطهم، فى دوامه البحـث عـن سـؤالهم عن بداية الطريق، وقررت لجنة الشـورى أن يبدأوا بأقسام البوليس، ولكن من أى الأقسام يـبدأ البحث، لايهم، كلها سواء، دخلت أول قسم للشرطة صـادفهم، وجدت نفسها فجأة أمام ضابط نوبتجى، سيادة الـبك الأميـن، لا تدرى أيهما أصدق، المهم هكذا يناديه الجمـيع، واخـتارت البك فهو أسهل فى النطق وأصدق للدلالة على السلوك الذى رأته منه، أنزوت ومرافقوها فى ركـن مـن الحجـرة حـتى ينهى البك عراكه مع أحد المواطنين، يبدو من عنف أسلوب البك إنه قد أهين إهانة

لاتغـــتفر، وأخـــيراً يأتى الدور، تتقدم الزوجة بدعوة من عينى البك، تتقدم فى حذر، من خلفها مرافقوها، وبنظرة مـــن نفـــس عينى البك يتقهقر المرافقين وتبقى نوال، إنه زوجها، غائب، لم يحضر، حضر البعض، للسؤال عنه، ينظر إليها البك، وماذا يفعل لها، هل يؤجر منادى ينادى على رجل قد "الشحط" على حد قوله ، تنظر إليه نوال فى اســـتغراب ؟ إنهـــا لاتعلـــم عن زوجها من قبل إنه هذا "الشـــحط" ، تجادـــله، يـــنهرها البك ويدعو أحد الجنود لصرف هؤلاء المزعجين، تقف نوال حائرة، لقد طردت من نعيم هذا البك، تنظر حولها لمجموعة الجنود، الناس، تتوســـل بالدعـــاء مرّه، وبالدموع أخرى لعل قلباً رحيماً يطمئنها على الزوج الغائب.

يـــرق قلـــب أحـــد الرجال، وكيل محامى تصادف وجـــوده فى القسم، يعرض مساعدته، يطلب من الجميع الانصـــراف ويتكلون على الله وعليه، وإن شاء الله خير، وكمـــن ينتهز الفرصة، ينطلق الجميع بعيداً عنها شاكرين هذا الأستاذ صنيعه ، وطمأنوها على الأولاد.

وقف بعرور الجمل، وكيل المحامى، أمام نوال، لقد رق قلــبه لها المهم أن تجيبه على ما يسأل، وبدأ يستفسر منها، يطلب منها أن تخبره بكل شئ وبصدق، وبالتفصيل الدقــيق لعــل وعســى، يعثر على دليل على خيط يقوده للزوج الغائب.

وتقــول نــوال، وتقول، وينصت بعرور وينصت، والــنهاية يهــرش مؤخرة رأسه، ويستأذنها دقيقة ويدخل القســم، وتنــتظر نوال بالخارج، تمر الثوانى كالساعات يحــاول أحــد الثقلاء أن يستغل فرصة انتظارها وحيدة، تــنهره فلــيس هذا وقت قلة الحياء، والبال به مايكفى ، ينقذها خروج بعرور ، لم يستطع العثور عليه فى القسم، لا يوجد ما يدل عليه.

يحــاول بعرور أن يعرف منها المزيد، يسيران فى اتجاه قسم أخر، وأثناء تجوالهما بين الأقسام ، تزيده نوال علماً بحسونه:

-إنــه رجل ليس كغيره من الرجال، فهو شئ أخر،

مهــذب لــبق، مــثقف، يعرف كل شئ، لكن ياخسارة، مســرف، يضــيع نقـوده فــى الكتب والأوراق، يكتب القصص.

تشير الزوجة لفيلم شهير وتقسم لبعرور أن القصة قصته "يندهش بعرور".

– أصل المسكين مالوش بخت.

- تــبقى ســرقة، لازم يشتكى، أنا مستعد أوكل له الأســتاذ دا دلوقــتى فيه قوانين حق الأداء، حرية الإبداع ، أمال إيه الدنيا بتتقدم.

- حيشتكى مين ولا مين؟

- ولا يهمــك، سيبى الحكاية دى على أنا، أنا أطالب بالتعويض

ويسترســل بعرور فى تحديد قيمة التعويض وأهمية الأســتاذ، ونــوال ترجوه ألا يخرج عن الموضوع ، أن يركز فى البحث عن حسونه، أن يترك هذا الموضوع ولا يــتركها تعيش بأمل واه، لقد عاش حسونه سنوات عمره

علـــى أمل أن يبقى حاجة. ويؤكد بعرور "على أنه سوف يكون هذه الحاجة"

- يسمع من بقك ربنا يا اسمك إيه.

ويــنظر إليها الوكيل، باستغراب هل حقاً لا تعرف اسمه أم هو دلال النساء، على كل:

- محسوبك بعرور.

- نعـــــم؟

- بعرور، بعرور الجمل.

- يعنى إيه؟

- يعنى جمل كبير جاب جمل صغير.

- يا ســـــلام.

- مش مهم، المهم القضية.

- إيه قضية؟

- قضية التعويض.

وتسرح نوال، التعويض، هل هذا صدق، لقد سئمت مـــن قلـــة حـــيلة زوجهـــا أمام سارقيه فهل يستطيع هذا

الشـــخص أن يسترد حق الزوج وأن يحقق أمله، "يوضع سره فى أضعف خلقه" وتستدير لبعرور:

– عـــارف يـــا أســـتاذ أنا ماكنتش أصدقه، لكن لما قريـــت اللـــى بيكتبه اتأكدت. لكن بعد المسألة ماطالت، مابقتش قدرة استحمل، كنا دايماً فى خناق، عراك الحقيقة سودت عيشته.

وهـــنا يقفـــز بعرور، لقد وجد السر، إذا فهو هرب مـــنها، مـــن العـــراك، مـــن النكد، هكذا كل الرجال، لا يحتملون النكد والعراك، ويهربون، من يهرب لكأس، من يهـــرب لامرأة ، من يهرب من الدنيا وينتحر، المهم إنهم يهربون، ونظر بعرور لنوال:

- إنه هرب منك، أنت السبب.

وتنفى نوال الاتهام، فلو كان قد هرب بسببها فلماذا يســـأل عـــنه كل هؤلاء الناس، هل هناك من يسأل عن هـــارب إلا لـــو كان هناك سبب ما، ويوافق بعرور على هـــذا المـــنطق، حقـــاً، لماذا يسأل عنه أغراب، قد يكون

مديونـــاً لأحـــد، أو قد يكون ارتكب جرماً ما، ولكن، أى جرم والبوليس لا يدرى عنه شيئاً، إذا لابد أن يكون هناك ســـر، وأخذ بعرور يقلب الأمر فى رأسه خاصة بعد أن نفت الزوجة مديونية حسونه، أو ارتكابه لجرم، ولكن لا يشـــترط أن يكون الجرم من النوع الذى تهتم به الشرطة العادية، نعم، فهناك أكثر من جهة للبحث والتجريم.

– ليه هم كلهم مش حكومة واحدة؟

– أيوه بس الاختصاص.

– يعنـــى إيه؟

– قولـــيلى؟... "ويفكـــر بعرور برهة ثم يسأل" هو مالوش كتب كده ولا كده، صحاب مشيهم بطال، له نشاط سياسى، إرهابى؟

وتـــنفى الزوجة كل هذه الاتهامات، يصرخ بعرور فى حيرة "يبقى راح فى أنه داهية بقى؟".

– والعمل؟

– مافيش إلا المستشفيات.

"تــتأكد نــوال أن رحلـــة البحث فى أقسام الشرطة انتهت، وتفزع نوال".

هل مات حسونه.

"ويطمئنها بعرور".

– يمكـــن مجـــرد جـــرح بسيط أو كسر على أسوأ الفروض.

- جرح ، ومين جرحه، هاه مين كسره؟

- وأنا أيش عرفنى أنا بأفترض، بأفترض.

وتفـــيق الـــزوجة، فعلاً، إنها كلها افترضات، ولكن لابد مما ليس منه بد، فليذهبا للمستشفى وليعفيهما الله من أن يفاجئهما بما لاتحمد عقباه.

المخبـــأ

لم يجد حسونه سوى بيت صديقه "عبده النلت" مأوى له، لم يعرف ما السبب وراء توجهه إليه، قد يكون صداقه الطفولة وزماله الدراسة وإن فرق بينهما الشباب بمشاغله والرجولة بمسئولياتها، فحسونه منذ أن تزوج وهو بعيد عن الكثير من زملائه، وهذا حال المتزوج سرعان ما يتنكر للعزاب من أصدقائه وأن كان يحسدهم من كل قلبه على عزوبيتهم، وربما كان السبب ما يحمله له عبده من معزة ومودة من جهة، ولعدم معرفة أحد بالصداقة التى بينهما، حتى نوال، فلم تأت أبداً الفرصة للتعارف، وهذا مكانٌ آمن لحين تنفيذ الخطة، أم هى الرابطة الفنية التى تربط بينهما والتى ستجعل عبده يتعاطف مع قضيته، فعبده هو الأخر، ضاعت فرصته فى زحام السباق غير المتكافئ فى الحياة الفنية، أم لأنه عاش محنته مع التليفزيون وتألم لألمه، أم لأنه الأعزب الوحيد

والصديق الذى لن يضايقه استضافته، لسبب من هذه الأسباب أو كلها، قرر حسونه أن يذهب "لعبده التلت"، فقد يجد مؤيداً له متعاطفاً معه.

لم يصدق "عبده التلت" عينيه وهو يفتح باب حجرته لحسونه، وكأى ممثل قدير حجب ما به من شوق خلف قناع من اللامباة، رجع خطوتين إلى الوراء استند على جدار مواجه للباب وارتمى على الجدار بظهره عقد قدميه ووضع يديه فى جيبه البيجاما والقى نظره استفسار على من يقف بالباب، "أحسونه أرى؟ لما وقوفك والفتيان قد ساروا"، ينطلق حسونه ويحتضنه عبده يحمل جسمه النحيل، قامته القصيرة بين يديه ويحتضنه ، ويتبادل معه العناق يجلسان على كنبة فى صدر الباب، يتبادلان الأشواق والاستفسار عن الصحة والحال، كمن يلتقون لأول مرة، نظر عبده بعين يملئوها الحنان لحسونه:

- سلامات يابو الحسن.

- الله يسلمك.

- عاش من شافك.

- تعيـــش.

- لكن إيه رماك على الساعة دى.؟

لم يفاجئ حسونه بالسؤال فأمر طبيعى أن يثير مجيئه تساؤلات عبده، لذلك أسرع بالجواب:

- جاى استخبى عندك.

- أهلا بيك ، بس من إيه؟

وقص حسونه قصته، منذ أن تركه، ضحك عبده، فهو يعرف حسونه جيداً، مفاجاءاته آرائه الغريبة، مبادئه، مثله، ألم يكن زميله، وشبيها به، لذلك لم يكن غريباً عليه ما سمعه من حسونه، وان كان قد تعجب لغرابة الفكرة، وخشى، خطورتها، لكن حسونه طمأنه، فهو يعرف ويقدر هذه الخطورة، ويستعد لها، ضحك عبده، بقامته النحيلة ضحك بشده، اهتز جسمه كله من الضحك، وانتقل الاهتزاز للوح قديم من الواح السرير الذى يجلس عليه، اصطكت الالواح كما تصطك الأسنان فى عز البرد،

تعجب حسونه، لم يمهله عبده فرصة لإبداء دهشة أو تعجب، انطلق يتهم حسونه بانعدام الذكاء وهو الذكى، هل عمل حساب الزبانية، من سيطعنونه من الخلف، من سينتهزون قضيته فرصة لهم يقتنصون بها فرصة أو ترقية أو علاوة، وتضيع الحقيقة فى وهم البحث عنها، بادله حسونه ضحكاً بضحك، ياله من ساذج نسى أن الحقيقة طالما وراءها مطالب لا تضيع قد تتأخر لكنها لا تضيع أبداً هكذا قال الأولون، وهكذا أثبتت التجارب.

نظر عبده لما حوله، أشار بيديه لحجرته الرثة، لحاله ويسأل حسونه وَهل من الحقيقة أن يكون هذا حاله، لو كانت هناك حقيقة أو حق هل ظل هوه عبده التلت بنشاطه وقدراته وعمله كومبارس والعشرات يتسلقون على كتفيه للنجومية، وهو كما هو محلك سر.

صمت حسونه برهة، وتعجب لهذا الخلط بين الحقيقة والنصيب والرزق لكن عبده لم يدعه يكمل فلو كانت الحقيقة لا تضيع لا اكتشفت حقيقته، مواهبه معدنه،

لكنها تضيع وسط كل الزيف المحيط بهم ويراهنه على ذلك.

يربت حسونه على كتفيه ويوافقه على المراهنة، وسيثبت له أن الحقيقة لن تضيع، يكاد عبده أن يبكى فهو يأمل أن تظهر الحقيقة وينال حسونه حقه، فهذا يعنى أن الدنيا مازالت بخير، وإنه ستأتيه الفرصة هو الأخر لكشف حقيقته، ويتفقان على زجاجة مشروب ساقع لمن يفوز فى الرهان.

ينهى حديثهما انقطاع التيار الكهربى، يحاول حسونه أن يقوم لمحاولة اضاءة النور، يضحك عبده.

-ما دام انقطع فلن يعود قبل ثلاث أو أربع أيام.

واحتواهما سرير واحد ونظر كل منهما للأخر وتصبح على خير، ويستديران.

(٢١)

المراقبــــة

تغلق أخر نافذة فى الحارة، فيحيطها الظلام من كل جانب، تصمت المنازل بعد أن ملت من الحديث عن حسونه، وفقد الجميع الأمل فى عودته، والاطمئنان عليه أن جاز القول ، كما أصاب الأحباط من كانوا ينتظرون حباً فى استطلاع أمره وما سيحدث له.

لم تعد هناك شبهه لحياة فى الحارة، الصمت كصمت القبور، يقطعه من أن لأخر عواء قط جائع، أو قط يبحث عن وليف، أو صراخ طفل رضيع فقد ثدى أمه لحظة رضاعة، سرعان ما يجد ضالته فيصمت ، أو صرخة زوج يعاتب زوجته فتستسلم له خشية الفضيحة، فيعود الصمت ليعم المكان.

وما بين الصمت والظلام انتشرت بعض الأشباح البشرية فى جوانب الحارة، احدها يكمن خلف أحد الأبواب نصف المغلقة، وأخر خلف كومة من الأوساخ

المنتشرة فى الحارة، أما محروس ومصوره، فقد كمنا خلف جدار متهدم من جدران الحارة،والجميع يراقب الطريق، فى انتظار حسونه.

فتح شكرى فى مكمنه خلف الباب النصف مغلق حقيبته أخرج زجاجه عطر، الروائح المنبثقة من الحارة تكتم أنفه، مسح وجهه بالعطر وأعاد الزجاجة لحقيبته وأغلقها، أحدث إغلاقها دوياً، يرتعد محروس فى مكمنه، يتشبث بالمصور الذىَ يحاول الوقوف، فجذبه محروس:

- رايح فيـــــن؟
- حاريح رجلى.
- أنت اتجننت عايز حد يشوفك.
- حد ميـــــن؟
- م اللى واقفين هناك دول.
- أنت شايفهم؟
- آه.
- ويا ترى هما كمان شايفنا؟

- ما اعتقدش.

- ليـــــه؟

- مش عارف بس أكيد مش شايفنا.

- وياترى دول مين؟

- وأنا أعرف منين؟

- يمكن م الحكومة؟

- ما عرفــش.

- صحفيين؟

- يمكـــــن.

- طب أمشى رجلى.

- رجلى على رجلك.

يصمتان، يقبعان خلف الجدار، يراقبان الطريق والآخرين، يعيد شكرى فتح حقيبته، يهمس المصور فى أذن محروس، يحذرة لقد أخرج شئ من الحقيقة ، شئ أشبه بقنبلة، يفتحها، يبدو أنه سيقذفها تجاههما.

-هل هذا حسونه؟ "يسأل المصور" يجيبه محروس

"لا أعرف".

ينبطح محروس والمصور خلف الجدار يحميان رأسيهما من الانفجار، تمر اللحظات ثقالاً فى انتظار الانفجار، يقطع الصمت صوت سائل يسكب، يرفع المصور رأسه.

- الظاهر داترمس، بيشرب شاى.

- صاحب مزاج قوى الله ينكد عليه.

ويعودان لمراقبة الطريق، يسمع على البعد وقع أقدام، خطوات تدب على بلاطات الحارة، ينتبه الجميع، يتحفزون، يقف محروس والمصور، يلقى شكرى بالشاى من يديه، يتحفز لملاقاة القادم، باقى الأشباح تتحرك، تتحفز، يدخل شبح أخر الحارة، يندفع المصور ، يسرع بالتقاط الصور، يضئ ضوء الفلاش المكان، يندفع الجميع تجاه القادم الذى يحاول الفرار من المفاجأة، يمسكون به، يرتفع الضجيج، تفتح النوافذ، تضاء الأنوار، وعلى شعاع مصباح يدوى، تكتشف شخصيته، إنه أحد ساكنى الحارة،

عائد من وردية ليلية فى إحدى المصانع، تعلو ضحكات النساء، مختلطة بضحكات الرجال.

لا يصدقونه، يحاصرونه، يتقدم أحد الأشباح، ظابط شرطة،يعلن عن هويته، يصمت الجميع ، يسرع المصور بالتقاط الصور، يحاصر المشبوه بالأسئلة من أين جاء وإلى أين، هويته، مطالب بإثباتها، لايهمه شهادة أهل الحارة، يجب أن يثبت براءته، يحاصره الصحفيون بالأسئلة، هل رأى حسونه، الرجل فى حيره، لا يدرى مما يدور حوله شيئاً، يتهمونه بالتحايل، الضابط يهدد، إما اعتراف وإما، الرجل يتوسل، منهك من العمل، يسعى للراحة، للنوم، الضابط يعده بإتاحة الفرصة فقط، الاعتراف، ما علاقته بحسونه الصحفيون يعاودون الأسئلة، والضابط يرجوهم، والرجل يرجوهم، الضابط يهدد، الرجل يصر على الأنكار، فهى الحقيقة، الضابط مكلف بإحضار أدلة، الصحفيون يعاودون السؤال، مكلفون بالبحث عن خبر، عن أنباء عن تغطية للقضية، ولابد من الاعتراف، الرجل يصرخ، يطلب الرحمة، النساء تصرخ فى الجميع، أن يتركوه، الرجال تتوعد،

الضابط يهدد، الصحفيون يكتبون، المصور يلتقط الصور للجميع، الحارة تزدحم، الرجال والنساء يحاصرون الجميع، الضابط يتصرف، يأخذ من الرجل بطاقته يطلب منه أن يلحقه فى الصباح، وإلا، يتبعه بعض الرجال راجين متوسلين، يترك الحارة قبل أن يزداد الزحام، يلتف الصحفيون حول الرجل، يطمئنونه فهم بجانبه لن يصيبه سوء، إنه مجرد شاهد والشاهد لا غبار عليه ولا خوف الرجل يصر على الانكار، لا يعرف شيئاً، أحد الأشباح يتهمه بالعمالة لحساب حسونه، الرجل يدافع عن نفسه تشجع بعد أن انصرف الضابط، الجميع يضيقون الخناق على الأشباح شكرى ينسحب، بعيداً، فهو ليس منهم، يمسك به بعض الأهالى، يعودون به للدائرة، أمراة عجوز تتقدم من الصحفيين، محروس يرفع يديه طالباً الأمان، يعتذر إن كانوا أخطأوا، الرجال يطلبون منهم الرحيل وعدم العودة ثانية للحارة، محروس يوافق.

تخرج الأشباح فى زفة تودعهم ضحكات وزغردة النساء، ويهربون راضين، يعود الرجال، لجارهم، يجلس الرجل فى أحد الأركان، يشكرهم معاونته، يفكر فى

الصباح، لابد أن يذهب للقسم، ولا يدرى ماذا يقول، وماذا سيفعل، يضحك أحد الجيران، يطمئنه فلا داعى للذهاب، ينظر إليه الرجل، كيف لا يذهب والبطاقة مع الضابط، هل يعلم عاقبة عدم الذهاب سيخطفونه من حضن زوجته وأولاده، من عمله، فهو مش قد الحكومة، ولا يقدر أن يهرب، يضحك الجار، يقدم له البطاقة، لم تعد مع حضرة الضابط، كيف، كيف، يسأل الجميع، ينظر إليهم يفرك أصابعه، يبتسم، حتى اللص قد ينفع فى الأزمة.

(٢٢)

مظلـــوم يا بيـــه

تقدم بعرور بخطى مرتبكة من الموظف المناوب باستقبال المستشفى، مخترقاً صفوفاً من المترددين جميعهم يريدون تسجيل حالات عاجلة تبحث عن علاج عاجل، كتل متراصة، من يتلوى لمغص فى جنبه، ومن تكوره

الأم الزائدة ككرة فى انتظار من يقذف بها. الدماء تكسو وجه سكير صدمته سيارة، وامرأة تتلوى من آلام وضع مبكر، وكل من حوله العشرات، من جاء يجامل، أو يتفرج، أو من جاء لتمضيه الوقت والتسكع. عالم غريب تقتحمه نوال لأول مرة فى حياتها، وأسلمت لبعرور قيادها فى خضمه ، تركها بعرور فى أحد الأركان وحاول أن يخترق الزحام بنفسه، حتى استطاع بفضل جسمه النحيل أن يصل لصاحب الدفتر، وفوجئ بسؤال التومرجى الأسم:

– حسونه حسنين حسان، "ثم استدار برأسه إلى نوال ليتأكد من صحة الأسم" فنظر إليه التومرجى، مستفسراً:

– هو مش بسلامتك؟

– لا.

– أمال مين؟

– جوز المدام، أصله غايب م الصبح.

ولم يدعه التومرجى يكمل. بل ترك القلم من يده، ألقاه وسط الدفتر، ودعا الجميع للمشاهدة والشهادة على هذا الأفندى، الذى جاء ليضيع وقتهم جميعاً، هذا الفوضوى الذى يعتقد إنه جاء لطابونة وليس لمستشفى محترم، وكيف تجرأ على اقحام أسم غائب وسط أسماء المصابين دون أن يكون موجوداً أو مصاباً، إنه تزوير ويصر على استدعاء الشرطة.

تندفع الآلف الألسن من أصحاب المصلحة ومن المرافقين لسب بعرور واسترحام صاحب الدفتر والأخير رأسه وألف سيف إلا أن يستدعى الشرطة، ويحاول بعرور، أن يوضح، أن يسترحم ولكن دون طائل فلا يجد بدا من أن يسحب كرسياً ويقف عليه خاطباً فى الجميع، وتنطلق حنجرته صارخه فى الجميع طالباً الصمت فهو ليس بالهافية أو الإنسان الخائف، إنه ضليع فى القوانين، فى الأحكام ويعرف ما يعمل، إنه قادر على إيذاء هذا المتهور، ويصعد المتهور صاحب الدفتر على مقعد أخر

ويواجه هذا الصلف الكاذب الواهم ويصر على استدعاء الشرطة، ويقسم بأغلظ الإيمان بأن لا يكمل عمله إلا بعد أن يؤدب هذا التافه، ويتبادل بعرور وصاحب الدفتر الإيمانات والوعود، ويجدها الجميع فرصة لإثبات الولاء لصاحب الدفتر، من بيده مفتاح العلاج، ويهجمون على بعرور الذى لم يعد يرى شيئاً. يفيق بعرور ليجد نفسه ملقى به خارج الاستقبال ونوال تركع بجانبه تسند رأسه على ركبتيها وتضمد جرحاً فى رأسه.

تطلب نوال من بعرور أن يكتفيا بما أصابه ويعودا، وتأخذ الكرامة بعرور، ويصر على أن يتم رسالته فهو لم يعرف الهزيمة أبداً، ويحاول أن يعيد الكرة، لكن مع الطبيب هذه المرة ، يقتحم حجرة الكشف، يقطع على الطبيب جلسته مع حديث تليفونى، يفاجئ الطبيب بهذا الفضولى يعتدل فى جلسته ويطلب ممن على الجانب الأخر دقيقة، لكن طرد بعرور خارج الغرفة لم يستغرق كل هذه المهلة، فهى لحظة واحدة صرخ فيها الطبيب فى

وجهه بعرور بعدها اقتحم الحجرة عشرات ممن يريدون اثبات الولاء لحضرة الطبيب ويلقى ببعرور مرة أخرى للخارج لكن هذه المرة وهو أكثر تماسكاً، تساعد نوال بعرور فى إزالة ما علق على ثيابه من أتربة، وهو يعمل التفكير، ويمنطق الأمور، المصاب يأتى هنا يسجل ويتم علاجه وواحده من اتنين يخرج أو يدخل هذا إن كانت حالته تسمح بالدخول، إذا فإن لم يكن حسونه بالخارج فلابد أن يكون بالداخل، إذا فلابد من الدخول، للبحث عن حسونه. وبالطبع لم .يصعب على مثل بعرور الدخول، سيجارة، وتكاليف كوب شاى، كافلين لإدخال عشرات فى زيارة مسائيه لمريض، ويدخل بعرور ونوال.

يبدأ بعرور البحث فى قسم الحوادث، لا يجد من يعترضه أو من يدله يقتحم بنفسه القسم، أقدامه تصطدم بالنائمين فوق الأرض بين الأسرة، وأنين البعض يجمد قلب نوال خوفاً تتشبث به أكثر، ينادى على كل مريض، "أستاذ حسونه" "أستاذ حسونه" لا يجيب ،ترفع نوال

الغطاء عن وجه البعض، غير موجود، تعتذر عما سببته من ضيق لمريض، وتتقبل إهانة أخر، ويخرجان من التجوال صفر الأيدى.

لا تدرى نوال ماذا تفعل الليل اقترب على الانتصاف، والأولاد.. مع الجيران أصر بعرور على الاستمرار، رجته نوال بالاكتفاء، وتمنت من الله أن يحفظ لها زوجها، وأن تمر هذه الأزمة بخيـــــر. يبشرها بعرور بالخير، وإنه متفائل، متفائل خير وبإذن الله سوف ينال الحلاوة عندما يعثر على حسونه.

(٢٣)

إستدعـــــاء

دقات عنيفة على الباب، أشبه برعد قاصف، يستيقظ حسونه وعبده، يتلمس عبده المنضدة يشعل شمعة، ينظر إليه حسونه فى وجل، يتبادلان النظرات، يسأله حسونه عن الطارق، يهز عبده كتفيه، يقترب من حسونه، يتأكد

منه إن كان هناك منّ رآه، تعقبه، يعرف إنه هنا، ينفى حسونه، فالأمر مازال سراً حتى الأن لا يعرفه إلا من أرسل إليهم البرقيات على أسوأ تقدير.

يستمر الدق، يطلب حسونه من عبده الانتظار حتى يختبئ فالحذر واجب يختفى حسونه خلف دولاب قديم بالحجرة، يتقدم عبده والشمعة بيديه من الباب يسأل القادم عن شخصيته زيادة فى الحيطة، يعلن القادم عن شخصيته إنه "النص" الريجى، المكلف باستدعائه للتصوير فى الصباح، يتنهد حسونه فى مخبئه، يفتح عبده الباب يتناول أمر الحضور، يمنح "النص" بقشيشا.

يخرج حسونه من مخبئه، العرق يملئ وجهه، مرت عليه اللحظات القليلة خلف الصوان كأنها أعوام طوال.

كم هو رهيب الاحساس بالخوف، قاس، قاتل، عاشه بكل جوارحه فى اللحظات الماضية كاد أن يتراجع عن غيه، استعاذ بالشيطان، آراه عبده أمر الحضور يبتسم، يبارك عبده على هذا الرزق، فالخير كما يقولون مع

القادمين يطلب منه عبده إن كان الأمر هكذا أن يبقى معه، لكن حسونه يرفض، لابد أن يختبئ فى أكثر من مكان، فمؤكد سوف ينشرون خبره ، صورته، ولا يريد أن يسبب أى مضايقات لعبده، كما إنه لا يستطيع أن يسجن نفسه فى مكان واحد ، لابد أن ينطلق يعرف رد فعل برقياته بنفسه على المسئولين وعلى الناس، يوافقه عبده فهو يعرف مدىً تصلب رأيه، وإصراره على تنفيذ ما يخطر له، وما يعقد عليه العزم.

وأثناء تناولهم الإفطار، يسأله حسونه معروفاً، بعض أدوات التنكر التى يستخدمها فى السينما إن كانت معه، يرحب عبده ويخرج له حقيبة صغيرة بها بعض أدوات التنكر، يعتز بها، يحفظ بها كل المكياج الذى عمل به فى السينما عادة قديمة، ويضعها تحت أمر حسونه.

يفحص حسونه الحقيبة يختار منها شارباً يتجه للمرأة، ويبدأ فى التنكر فمن يعرف ماذا تخبئ له الأقدار.

خفــى جنيــن

فشلت الرقابة،عاد المراقبون بخفى جنين فلا حسونه ظهر،ولا معلومات جديدة استطاعوا الحصول عليها.. إلا هذه الصورة القديمة التى حصلوا عليها من الأرشيف.

ولتعدد مصادر الرقابة، أصر محروس على رأيه، وأقنع رئيس التحرير بضرورة النشر حتى لا يضيع السبق من جريدتهم أو تسبق جرائد المعارضة فى النشر، ومع اقتناع رئيس التحرير، إلا إنه فضل الاستشارة أولاً، رفع سماعه التليفون واتصل بمن يهمه الأمر، وصدرت اليه التعليمات فلينشر ولكن بحذر!!

ظهرت جرائد ألصباح، تحمل مانشيتات عن هذا المجنون، ومانشيتات أخرى تحذر الجماهير من هذا المجنون الذى يريد إحراق الجميع، و المقالات التى تندد بالفوضوية والإرهاب، وانبرى العلماء يحللون سلوك حسونه، هذا المجنون الواهم الذى يعتقد أن هناك من

يحاول شراء أولاده، فى زمن انتهى فيه عصر الرق وعمت الحريات بأنواعها الجميع، الطائش الذى لا يدرك مدى خطورة سلوكه فى زمن كفل فيه القانون حرية الرأى للجميع، ويقاوم فيه التهديد والإرهاب من الجميع.

لكن... كان هناك بالطبع رأى أخر، رأى ينظر للقضية بوجهة نظر مخالفة للمنطق السابق، هو رأى المعارضين، الباحثين عن الفضائح من وجهة نظر الحكومة، لقد خلق أصحاب هذا الرأى من حسونه بطلاً مغواراً، مناضلاً مطحوناً يجب مساعدته، وإنقاذه، ولن يتم هذا ألا بتغير نظام الحكم، فحسونه بداية السقوط للحكومة المهيمنة على الأمور، وخطوة نحو السلطة للمعارضة. وبدأت التفسيرات التى تؤيد هذا الرأى، فحسونه إنسان يخشى بيع أولاده فى زمن يباع ويشترى فيه كل شئ ولكل شئ ثمن، وأسرع المتطوعون لتجميع التوقيعات لمساندة حسونه وإرسال خطابات تأييد له لمن يهمه الأمر، وانتهزت دور الصحافة الفرصة لزيادة

التوزيع بأصدرت ملاحق لمتابعة الآراء حول قضية حسونه، البطل المعتوه، الضحية، المجنون، الشهيد ، الإرهابى.

واحتار الناس أى الجانبين يصدق، احتار الناس بحثاً عن الحقيقة، هل حقاً حسونه بطل أم مجنون، مغامر أم صاحب حق، أين الحقيقة، لقد كثرت الإشاعات، وتسابقت الأقلام على الاختلاق والتفسير، وتسابق الجميع من يعرف ومن لا يعرف لأسداء النصح والإفتاء بالرأى أو الأدلاء بما لديهم من معلومات، بحثاً عن المكافأة التى أعلنتها إحدى الصحف، فى محاولة للإعلان عن مشروب غازى تطوع منتجه للمساهمة فى القبض على حسونه، وأغرت المكافأة الجميع ، الجيران، زملاء العمل، كل من يجد فى المكافأة وسيلة لتحقيق حلم أرجأه لحين، أو لحل ضائقة مالية يعانى منها، وأصبح الجميع بلا استثناء خبراء فى هذا الحسونه، من يتهمه بالزندقة والإلحاد والضلال فهو شيوعى حتى بعد إندحار الشيوعية، ومن

يعطف عليه وعلى قضيته فهو ضحية، غرر به تنظيم سرى دفعه لهذه الفعلة، ومن يؤكد على أنه يسعى لشهرة رخيصة وهو لا يملك أى قدرة على الفعل وتتجمع الأنباء، المعلومات من رأه فى الإسكندرية، ومن يقسم على إنه رآه فى أسوان فى نفس الوقت، ومن يقسم أيضاً على إنه ولى قادر على الظهور فى أكثر من مكان فى ذات الوقت، ولى له بركات، ولابد من سردها للتصديق على إطلاع قائلها على بواطن الأمور، يظهر ويختفى كما يشاء، يتنكر فى أشكال بشرية وغيرها وأن ما فعله كان بمساعدة قوى خفيه، ومن يدعى البطولة فيعلن أنه صادفه وحاول إلقاء القبض عليه، لكنه هدده بمدفع رشاش، فهو مسلح، وتعلن حالة الطوارئ، فما المانع فى أن يكون مسلحاً وراءه جماعة تخريبية. ومما يزيد الأمور تعقيداً بلاغ من عانس تسعى للشهرة، تصرخ فى طريق، فالسفاح حاول الاعتداء عليها واغتصابها ، خنقها، فهو عدو للجميلات، ويعم الذعر الجميع، وتزداد

الأقاويل، ويزداد عدد الباحثين عن الشهرة عن إشباع رغبات مكبوتة فجرها البحث عن حسونه، وحسونه، هناك، فى مخبئه ينتظر، يحصى الساعات الباقية على موعده وينتظر ما تأتى به الأقدار.

(٢٦)

سبق صحفـــى

غادر حسونه منزل "عبده التلت" ، تنكر، غير من هيئته، استخدم ما استعاره منه من أدوات التنكر، استفاد بخبرة عبده فى هذا المجال، خرج، ملتحياً، يرتدى جلباباً، معمماً، تحت إبطه حقيبته، وبداخلها أوراقه وحتى لا يلفت الأنظار إليه وضعها فى كيس من القماش، مع ما أقرضه عبده من نقود.

حاول عبده أن يثنيه عن عزمه، أن يبقيه معه فالمنزل مهما كان .آمن عن الطريق لكن حسونه لم يرضخ وأصر على رأيه، أن يكون وسط الناس آلأمن من

عزلته هنا، يجب أن يعيش لحظات انتصاره بنفسه يرى الحيرة وهى تعلو وجوه الجميع.

لم يدهش حسونه ما تصدرت به الصفحات الأولى للجرائد اليومية من مانشيتات، لم يكن النشر مفاجأة له، فلن يكون أول آواخر من يحاول الجميع استغلاله لإشباع كثير من الحاجات المرضية لديهم، من يريد إثبات ذاته باختلاق الأقاويل، من يسعى لشهرة، من، ومن، وكان مقدراً فى حساباته كل هذا واستعد له.

اشترى حسونه جرائد الصباح جميعها، جلس على مقهى فى أحد الشوارع المزدحمة، تخير مكاناً يتوسط الناس، تفحص الجرائد، طالع ما كتب عنه وما قاله، الأصدقاء، الزملاء، الجيران، وازن بين لعبتى النفاق والوفاء فى المجتمع، استهوته التجربة، فى أن يكتشف يحلل نفوس المغاوير، أبطال الانتهازية ، من يستفيدون من كل لحظة.

- بصراحة أنا كنت أخاف منه، ماحاولتش أتعامل

معاه، كان إنسان عدوانى ، مشاكس، الشربابين فى عينيه.

أنا يا بدر "وبدر زميل فى العمل".

- ياما نصحته وقولتله بلاش طمع، كان فاكر نفسه أحسن م العالم كله، ما يحمدش ربنا، مغرور.

- أنا يابدر "يتعجب أكل هذه فى صدره".

- ماله هو والتأليف. السياسة، خللى التأليف ينفعه.

- لا سر ولا حاجة ، هو عايز يشتهر عمل الحكاية دى علشان يشتهر آه زى أفلام السينما، فاكر فيلم.

يغلق حسونه الجريدة، يبتسم، آه ، للشدائد، حقاً عندها تظهر معادن الناس،حتى الجيران، جاءتهم الفرصة لإعلان بطولات زائفة، والجميع بلا استثناء أدلى بدلوه فى حياة حسونه يغترف منها، يفسر، يشرح كيفما شاء، وأن اختلفوا فى أشياء ، إلا أنهم جميعاً اتفقوا على شئ واحد، انكارهم حقه فى أن يكون مؤلفاً، كاتباً، وهذا ماحير حسونه، هل أضارهم فى شئ ؟، سبحان الله،

وضحك، ضحك، لفتت ضحكته أنظار رواد المقهى، عيونهم امتلئت بالفضول بحب استطلاع عن هذا الوحيد الذى يضحك، حاول أن يستغل الموقف بدوره، أن يثبت للجميع قدرته على التأليف، أشار للجرائد التى بيديه ، اتهم الجميع بالكذب، بالاختلاق، فجميعهم لا يعرفون الحقيقة، والحقيقة لا يعرفها إلا هو، نعم، لقد قابل السفاح مساء أمس صدفة محضة جمعته وإياه، بعد صلاة العشاء داخل زاوية صغيرة، كان يختبئ بها، غلبه النعاس، وبعد انتهاء الصلاة، وبعد أن غادر الجميع الزاوية اكتشفه نائماً فى أحد أركانها، لم يكن يعرف عندها إنه السفاح، تقدم منه بخطوات بطيئه، "كيف أخاف، وأنا داخل أحد بيوت الله "أجاب بحدة علىّ سائل من الرواد، ثم عاد للقص، بدأت المقاعد تقترب منه، كأستاذ فى قاعة درس أمامه اصطفت التلاميذ، بدأ حسونه فى السرد فى إلقاء درسه عن السفاح والحقيقة،والتلاميذ صامتون، استهوته التجربة، وكلما ازداد فى حبكته ازدادت الحلقة ضيقاً عليه

واتساعاً بالمريدين الجدد، وينتقل حسونه مع السفاح الذى اختلقه خياله الذى أضفى عليه من صفات البطولة والشجاعة مالا يصدقه عقل، من الإسكندرية حتى أسوان ذهاباً وإياباً، والجميع ينصتون، يصدقون، فهل يعقل أن يكذب هذا الملتحى، هل يعقل أن يضيعوا لحظة يعايشون فيها وهما يبحثون عنه، فى التوحد مع هذا البطل الذى يحكى عنه الملتحى، ويتمنى كل منهم أن يكونه، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

(٢٧)

إذاعـــة محليـــه

منذ أن صدرت جرائد الصباح، تحمل اخبار حسونه وصورته اليتيمة، والدنيا لم "تقعد" عند نوال، انقلبت جميعها عندها، جيران مخلصون يواسون، جيران يستطلعون آخر الأنباء، جيران يجاملون، في المصائب، "لقد أوصى النبى علي سابع جار"، وهكذا يقولون في

الأحياء الشعبية ، كان من المبكرين في الحضور الأستاذ بعرور، لم ينس أن يجامل هو الآخر، احضر "فطيرتين" بالسكر لنوال والأولاد، لكن من يملك النفس لتناول الإفطار، أصر بعرور، فبعد قليل ستمتلئ الشقة بكل ألوان البشر، صحفيون، شرطة، ولابد أن تأكل شيئا حتى تصمد، اندفعت نوال في البكاء، لماذا فعل حسونه بها والأولاد كل هذا ؟ ولماذا فعلت به الصحافة كل ما فعلته، أنه إنسان مسالم طيب، فكيف جعلت منه سفاحا، قاتلا، مجرما، و، و، فيطمئنها بعرور، أنها الصحافة ولابد أن تظهر الحقيقة التى لا يعلمها إلا حسونه.

صدق حس بعرور، "خبرة" فما كادت الساعة تقترب من التاسعة صباحا حتى إمتلئت الشقة والحارة، بالغرباء، صحفيون يبحثون عن أخبار، ما بين الجيران مخبرون، يتجولون بين الناس، متاريس وحراسه عند أبواب الحارة تفحص الداخل والخارج عسى أن يأتى حسونه، ومتطفلون أتوا لمشاهدة سكن ومأوى السفاح

عسى يعودون لذويهم بقصة أو نادرة أو معجزة عن حسونه، والتقى الجميع أو حاولوا الالتقاء بنوال، والشهادة لله لولا "بعرور" لكان هناك قول آخر، تصدى بعرور للجميع، وحمل لواء الأعلام، المتحدث الرسمى عن نوال، وحسونه والطفلين إذا اقتضى الأمر.

حاول بعرور إنتهاز تلك الفرص التى يخف فيها الزحام للتشاور مع نوال، للتفكير معها فيما يجب أن يفعلا، لكن الجماهير حالت دون تحقيق ذلك، ضاقت نوال بالجميع، حاولت أن تفض هذا السيرك، لكن كيف، صرخت فيهم أن يتركوها وشأنها، لا فائدة اندفعت لحجرتها باكية لحق بها نفر من الحارة يواسونها، أقترب منها أبن الحلال، حاول أن يصرف الجميع عنها تعجبت لجرأته، كيف يدخل حجرتها، غمز لها بعينيه لم تفهم بادئ الأمر، ساعدها علي صرف الموجودين من الحجرة، وقبل أن يخرج سلمها رسالة حسونه وتركها وأغلق الباب خلفه "وفص ملح وداب".

قبلت نوال الرسالة والدموع تنهمر من عينيها، أخيراً أطمأنت هدأت وأن كان القلق مازال يساورها من أثر ما نشرته الصحف، لكن حمدا لله مازال حسونه بخير، حاولت أن تخفى الرسالة عن الجميع لكن خشيت تفتيش الشرطة فضلت أن تحرقها ولم تطلع حتى بعرور علي فحواها، مسحت دموعها، فتحت باب حجرتها والابتسامة تعلو شفتيها، طلبت من بعرور السكوت تقدمت للكنبه التى كان حسونه يفضلها للكتابة، واجهت الجميع بجرأة، وصلابة، وأبدت إستعدادها للإجابة عما يسألون، فهى خير من يدافع عن حسونه وهى أول من يؤمن ببراءته من كل الاتهامات التى توجهها إليه الصحافة، وخير من يؤمن بقدرته علي التصرف في الازمات.

تعجب بعرور لهذا التحول، خشى أن يكون في الأمر شئ ،أبتسمت له نوال وأمرته أن يدخل الصحافيين فلها معهم حديث آخر.

(٢٨)

الهـروب الكبيـر

إستمر حسونه في سرد قصصه عن حسونه، ساعده خياله الجامح وإنصات الجميع علي الاستمرار، ترك بكل كلمة قالها أثراً لدى مستمعيه، من تعاطف، ومن وقف ضد حسونه، المهم أنهم جميعا كانوا ما بين متعاطف أو معادى، لأنهم جميعا صدقوا ما قال ،واختلفوا فقط في المبررات والدوافع والتفسيرات، لكل مزاجه وكل يحاول أن يعيش حياته بطريقته ويا حبذا لو فرض هذه الطريقة علي الاخرين.

أشتد حماس الجميع، القصاص والمستمعون، لكن لابد من النهايات الدرامية دوما، وليس كل ما يتمناه المرء كما يقولون يدركه فسرعان ما أنفض الجميع علي أصوات أبواق سيارات الشرطة، قادمة نحو المقهى، لقد وشى البعض بهذا الذى يقص عن السفاح،لم يجد حسونه بداً من الهرب ساعده تعاطف الناس معه علي الفرار،

حاول البعض الإعاقة، تصدى لهم البعض وفر حسونه، حاولت الشرطة اللحاق به، امتدت أيدى المتعاطفين تتقاذفه، تساعده علي الانتقال من عطفة لأخرى، من منزل لأخر، وحسونه يهرب يقفز في قوة ورشاقة غريبة لم يخبرها من قبل، فالأمر بالنسبة له لم يعد مجرد إثبات حق، أو تنفيذ وعد، بقدر ما هو حفاظ علي حياة، والحياة لأى كان ومهما كان لها حلاوتها.

ينتهى المطاف بحسونه فوق أحد الأسطح، أحتمى بعشة خالية من دواجنها، الشرطة تنتشر في الحارة، تبحث عنه، واتته فكرة جريئة، أسرع ينفذها فليبدل ثيابة بما علق من غسيل صادفه ، اخرج علبة التنكر من مخلته، ازال اللحية والشارب استبدلهما بشارب اخر مع بعض الرتوش تغيرت ملامحه ، اطمأن، تسلل الى سطح مجاور، ونزل من بيت اخر فى هيئة غير الهيئة، وحمله تحت إبطه، وحاول التسلل بعيداً، بعيداً، فلا بد من الاختباء ، وتتدخل ..الاذاعة فى المطاردة، تعلق عن

اوصاف السفاح ، تحذر الجميع وتناشدهم المساعدة فى القبض عليه، لانه خطر، مسلح، داهية تزداد الاتهامات، يزداد حسونه بدوره حرصا يصر على التواجد وسط الناس فى الزحام، يدخل السينما اربع حفلات ، خير مكان للاختفاء والنوم، والتنكر ، بعيداً عن أعين الرقباء.

وتعلن حالة الطوارئ، لم يبق على الميعاد إلا ساعات. فى الجريدة ، يقف رئيس التحرير يؤنب محروس الذى لم يستطع ان يفعل شيئا ، ومحروس يؤكد ويؤكد، ويذكر الرئيس بأمجاده اليس هو صاحب السبق ، اليس من هو امد الشرطة بكل معلوماته ودفعهم للبحث والمطاردة ، ومع كل فمازال فى الليل بقية.

أما الافندية، فلم يختلف موقفهم مع شكرى كثيرا عن محروس ورئيسه ... فلقد اضاع عليهم شكرى الفرصة وهاهى الشرطة تدخلت بقوتها ، سوف تحاول باقصى امكانيتها منع حسونه من تنفيذ مخططه وعندها سوف تغنى الحكومة وترقص لانها قبضت على السفاح حققت

الامن للملايين، وتضيع هيبتهم ويظهرون امام الجميع ادعياء مغرضين.

لم يجد شكرى ما يقدمه لجماعته ، وان كان قد وعد هو الاخر بالمواصله بالمحاولة ، فلم يزال فى الليل بقية.

(٢٩)

الحفـــل الختامـــى

خـــرج حسونه من السينما بعد انتهاء الحفل الرابع ، استمتع بالتكييف، نام اثناء حفل الثالثة، استرخى فى حفل الســـهرة ،استعد لليل طويل، بعد شقاء، لمح عند خروجه رجال المباحث يراقبون الوجوه، اطمأن على عدة التنكر، انـــدس بين جماعة من الاصدقاء يناقشون الفيلم، اشترك فـــى الحـــوار، تجاوز رجال المباحث، انطلق فى شارع سليمان ... عرج على شارع ٢٦ يوليو ، المحال مغلقة ، مازالـــت الشـــوارع مـــزدحمة كثيرون يهربون من حر المنازل ، الى الطرقات لف على سوق التوفيقية ، تناول

عشـــاء خفـــيفا، خرج الى الطريق، فضل ان يبتعد عن الاعين – التى تراقب الطريق، عاد الى شارع ٢٦ يوليو، قفـــز فى اول اتوبيس صادفه، وانتظر حتى نهاية الخط ، فـــى المظـــلات، الحركة بدأت تخف هناك رجال الامن منتشرون، واضحين للعيان ، يعترضون بعض الاشخاص ... يتحسس حسونه حقيبته ...، يندفع تجاه مجموعة من الاشخاص يسالهم كبريتا، يخرج سيجارة من جيبة يشعلها قد تساعده على الهدؤ ، التماسك يقترب احد رجال الامن منه ... يدعوه لسيجارة يشكره الرجل، يصر ، يقدم إليه العلـــبة، يتناول الرجل اليسجارة يأخذ الكبريت من رفيق الاتوبـــيس يشعلها له ،يعيد الكبريت لصاحبه وينصرفون جمـــيعا. وللمـــرة الثانـــية يساعده الحظ فى تجاوز نقاط المراقـــبة، يقـــترب حسونه من النيل من الشط ينظر الى المـــاء يبتسم، لن يخطر ببالهم أن هناك من يختبىء على النيل، يسرع بالقفز من فوق السور ، يسقط بين الحشائش النامية على ضفة النيل ... ينتظر برهة ، يتأكد من خلو

المكان من المراقبين ، يحاول السير بين الحشائش ، يلمح خـص لاحـد الصيادين بالقرب من قارب مربوط بوتد خشـبى بجانب الخص ، حاول الاقتراب من الخص كاد أن يسـقط، تمسـك بحمله ، وتماسك ، سار بحذر وسط الحشـائش حـتى وصل الى الخص والقى بنفسه وحمله داخله ، تكور فى أحد جوانبه ، شعر بلسعة الندى، احتمى بـالجدار وضع حقيبته خلف ظهره، وانتظر إلى الصباح وسرح بفكرة فى الغد، فى الميعاد المرتقب.

(٣٠)

المشهـد الأخيـر

الميدان الكبير محاط بسياج من رجال الأمن، ممنوع الاقـتراب، ممـنوع الدخول، ممنوع الانتظار،، وقائمة كبيرة من الممنوعات، وأهل القاهرة جميعهم خرجوا عن بكـرة أبـيهم حضروا لمشاهدة ماسوف يحدث، والأقاليم أرسـلت وفـودا لتشاهد، لتعود لتقص عما سوف يتم، لم

تمـــنعهم قائمـــة الممنوعات، ولا رجاء رجال الأمن، ولا العصــــى المكهربة، إصرار غريب على مشاهدة السفاح وهو ينفذ ما وعد به وسط هذا الحصار.

أيضاً جاءت نوال والطفلان، هكذا أوصى حسونه فى رسالته، حاول بغرور أن يمنعها لكنها أصرت أيضاً على تنفيذ الوصية،اضطر لمرافقتها، حمل أحد الطفلين وترك الآخر لها ، لم يضيع رجال الأمن الفرصة، اصطحبوا نوال معهم، احتجزوها فى احدى سيارتهم مع الأولاد على أن يكونوا عامل ضغط على حسونه ليسلم نفسه، هذا إن استطاع ان يخترق مثل هذا الحصار.

لم تفت الفرصة بالطبع الانتهازيين من الباعة الجائلين، انتشر حاملو الصور الملونة وغير الملونة لحسونه يوزعونها بثمن رمزى لعل وعسى، تفيد فى ذكرى لهذا اليوم ،فى تعرف على السفاح، بائعو الجرائد يصيحون على الملاحق والكتيبات التى أخرجتها المطابع سريعاً عن هذا السفاح، بائعى القبعات الورقية، فالشمس

حارقة ويعلم الله متى سيظهر السفاح ، ومع القبعات وتحت أشعة الشمس لابد من المرطب، لم ينس بائعوا المرطبات- المحلى منها والمستورد- ،الحضور، انتهاز هذا الجمع الشعبى، انتشر بائعوا العرقسوس بجوار بائعى المعلبات، كل يحاول أن يرضى جماعته، كافة الأذواق ... التى اجتمعت جميعها كيوم حشر فى انتظار حسونه.

استيقظ حسونه من غفوته، وصل إلى أذنيه وقع أقدام تقترب من الخص، لمح الصياد وزوجته ، ترك الخص سريعا، انزوى بحمله بين الحشائش المنتشرة على الشاطئ يراقب الزوجين، ينتظر فرصة للهرب، تحسس بحركة لا شعورية شاربه، تأكد من وجوده، استمر فى مراقبة الزوجين، حلا قيود المركب، أعدا الشباك، ترجلاً إلى القارب وابتعدا، اقترب حسونه من الخص، وجد بعض الخبز والجبن، تناول إفطاره على عجل، استعار ثياب الرجل، جلبابه وعمامته لمح سلة لوضع السمك فارغة، ألقى بها حقيبته حملها كغزال برى يطارده أسد

جسور انطلق، عابراً الحشائش، فالسور، حتى أصبح فى الطريق، تحمل كارها الرائحة المنبعثة من السلة والثياب، بقايا سمك، ركب عربة كارو صادفته، خشى أن يستقل سيارة فالرائحة لابد أن تنفر منه ركاب السيارات العامة والخاصة.

اقترب حسونه من شارعه، الحركة شبه متوقفة والحى شبه خالى، يبدو أن الجميع تركوا الحى هاجروا إلى الميدان الكبير، من صادفه لم يستطيع التعرف عليه، ظنه البعض شرطياً متنكراً جاء يراقب الحى، حسناً فعلت نوال، تحركت فتحرك الجميع خلفها، هكذا خطط، قفز على درجات سلم منزله، برشاقة، اقتحم الشقة، أسرع باحضار أوراقه كتبة هكذا خطط، قفز على درجات سلم منزله، برشاقة، اقتحم الشقة، أسرع باحضار أوراقه كتبه ما يكفى لملئ السلة، دخل المطبخ أحضر زجاجة شم محتوياتها، تأكد أنها مليئة بالكيروسين، أضافها لحمله وأنصرف.

استمرت نداءات الشرطة من مكبرات الصوت تحذر الجميع، ترجوهم الابتعاد، لا فائدة، تعود النداءات لكنها هذه المرة موجهة لحسونه، تطالبه بالتسليم فلا فائدة والميدان محاصر ، فيعطوا المكبر لنوال، للأطفال، ينادون على حسونه، لا فائدة.

تسلل حسونه لشارع جانبى مطل على الميدان، رائحة الملابس والسلة تزكم الأنوف، تفسح له الطريق بين الجموع المحتشدة فى انتظار السفاح، الطريق موصود بأجساد رجال الأمن المركزى، حاول المرور، منعوه، توسل إليهم ، يريد أن يذهب إلى النهر، صياد، يسعى لرزقه، لم يستجيبوا الأوامر هى الأوامر ، وممنوع المرور، حاول من طريق أخر، وطريق وطريق، دون فائدة فكر حسونه وفكر، احكم التفكير، النداءات عنه وإليه لم تنقطع، هداه التفكير أن يكتفى بما تم، يسلم نفسه، لقد حقق ما يريد، لفت نظر الجماهير الرأى العام، تسأل يا ترى، ماذا يحدث لو سلم السفاح نفسه ؟

نظرات الاحتقار لفكرته صوبت إليه من الآلاف العيون ؟ الآلاف الألسن وصفته بالخبل "بالتخريف" كيف يمكن أن يتم هذا، وقد تكبدوا المشاق منذ الصباح الباكر للحضور، للمشاهدة، ثم يسلم نفسه ؟ ما أسخفها فكرة، أجمع على ذلك الجميع لو فعلها لأستحق الشنق لخداعه ؟ وإن لم يسلم نفسه؟، سأل حسونه، مؤكد سيكون هو البطل الذى جئنا من أجله ؟، أن من يتحدى الحكومة، الشرطة ويستطيع أن يغلبهما يكون بطلاً، بالنسبة لنا ؟، صرح أحد الصعاليك لحسونه

حقا منذ عهد الفراعنة والصراع الخفى بين الحكومة، الدولة – السلطة ، والمقهورين قائم فى الخفاء، لا يستطيع أحد الجهر به، فقط يعلن عنه تعاطف مع مجرم، قاطع طريق، أحرج الحكومة، أو كما يقولون "دوخ الشرطة" يكون "أدهم الشرقاوى" جديد، فالناس تبحث دائماً عن أدهم شرقاوى ينفس عن المكبوت فى صدورهم من عداء وانعدام ثقة بين الأهالى والحكومة منذ عهد الفراعنة.

زغد أحد المشاهدين حسونه ، اعتقد أنه يعترض على تصريح الصعلوك، أكد:

- فعلاً لازم يكون بطل اللى يقدر يعمل اللى الملايين مش قادرة تعمله،وتقف فى وش الحكومة.

أخفى حسونه إبتسامته، فمسئوليته قد تضاعفت لابد من تحقيق ما وعد به ليفضح مستغليه من جهة، وأن يحقق لآلاف الضعفاء حلمهم فى أن يكون ما يحلمون أن يكونه، أن يكون "أدهم جديد"، وقرر حسونه أن يتحمل المسئولية وليكن ما يكون ، عاد للجماهير للسؤال:

- لكن إزاى يقدر يعمل عملته وسط الحراسة دى كلها؟ ، "إجابه أحدهم:".
- إنها مسئوليته.
- لكن لازم نساعده أن كنا عايزينه فعلاً ينفذ عملته.
- ازاى؟ .

وواتت حسونه الفكرة سريعاً،

-لابد من كسر هذا الحصار، حتى تتاح له فرصة اختراقه.

-كيف ؟ "وعلا السؤال".

وأوضح حسونه خطته، ببساطة، ليختلقوا فوضى فى هذا الجانب، تتبعها فوضى فى جوانب أخرى وهكذا حتى تعم الفوضى الميدان، يضطرب الأمن، يخترق البعض الحصار، عندها أن كان صاحبنا موجوداً سيستغل الفرصة، وينفذ ما وعد به... ويحرق ما يشاء.

شعشت الفكرة بالرؤوس، استحسنوها... قرروا تنفيذها، حيوا بائع السمك صاحبها، وبدأ الضغط على رجال الأمن، وبدأت الجموع تضغط وتضغط، تكاتف رجال الأمن، يزداد التجمع، تستخدم العصى تخطف العصى، تفتح ثغرة، تتكرر الفوضى، تأتى قوات لتعزز الثغرة، تزداد الفوضى، تتعدد الثغرات، يسقط البعض، ويعدو البعض، يثأر البعض لمن سقطوا ممن أسقطوهم، تعم الفوضى الميدان، يقتحم البعض الميدان تطاردهم الشرطة، يتسلل حسونه خلف المطاردون والمطاردين، يختفى بسلته خلف إحدى السيارات، سيارات المطافى

تتحرك، تستخدم الخراطيم، حسونه ينتقل بين السيارات يصل إلى منتصف الميدان، يحتمى بسيارة يضع المشنة على الأرض يسكب الكيروسين على محتوياتها ويحرق كتبه مؤلفاته، أولاده.

السنة النيران ترتفع تدوى صفارات الإنذار، يهرب الجميع، يخلو الميدان إلا من حسونه وأمامه الحريق، يضحك، يخلع العمامة، يزيل الشارب ويضحك، نوال تندفع إليه تحتضنه خلفها بعرور بالطفلين، مازال الجميع مذهولين، يبدأ المصورون ، الصحفيون ، يسجلون لحظة اللقاء، لحظة الحريق، الشرطة تحاصر المكان ، رجال الإطفاء يندفعون، تجاه الحريق، الجماهير، تنتظر ما سيقوم به حسونه يطلب مكبراً للصوت ويهدد بتفجير المكان، المفرقعات جاهزة، يقف الجميع راجين أحد الجنود يقدم له المكبر، يعلن حسونه للجميع أن اللعبة انتهت وقد أحرق أولاده، بناته، مؤلفاته ، فعل كما قال أحدهم عندما سألوه، ماذا تفعل لو جاءك الطوفان، قال،

"أضع أطفالى تحت أقدامى" هكذا يقول المثل الشعبى وهكذا فعل حسونه "أحرقت أولادى"، حتى لا أبيع نفسى وأبيعهم، لكى أنجو من الطوفان"، واعتذر حسونه للجميع لم يستطع أن يكون البطل الذى يأملونه فهو مجرد إنسان، انسان يحاول اثبات حقه فى الحياة، لكنه مجرد انسان.

اقتربت من حسونه فرق الصاعقة، مكافحة الإرهاب، بدأ الحصار يضيق حوله، والناس تتصرف لاعنة هذا المخبول الذى غرر بهم، وبأحلامهم، ابتسم حسونه لمحاصريه، طلب منهم الهدوء، لا داعى للعنف، فهو ليس سفاحاً، ولا قاتلاً، لا يحمل إلا إيمانه بحقه، وهذا لا يضير، وسلم مكبر الصوت ويديه للشرطة، طلب من الصحفيين أن يتبعوه، فهناك الكثير، يريد أن يقوله وعليهم أن يسمعوا ويدونوا، وينشروا أن كانوا شرفاء.

قبل اسدال الستـــار

لم تشر الصحف بعد ذلك اليوم لقضية حسونه بأكثر من سطر أو سطرين، ونسى الجميع أو حاولوا أن ينسوا هذا المجنون، الذى يدعى أن له حقاً ضائعاً يطالب به، والذى خدع الجميع، حقاً.. تكونت لجنة للتضامن معه، اذاعت عن تبرعات وإعانات وإعلانات من وعن أعضائها، لأسرة البطل، حقاً تكونت لجنة للدفاع عن حسونه، إلا أن حسونه لم يكن فى حاجة للدفاع أو لتضامن أو لتبرع أو إعانة، كان فى حاجة لمن يستمع إليه، من يصدقه، ولم يستمع إليه إلا صحفى صغير، شاب حديث مبتدئ، وجد فى حسونه فرصة لشهرة، لنجاح فى جريدة مرتجع إعدادها أكثر من توزيعها.

حاول الكثيرون استثمار حسونه ، لم يجدوا صدى لدى الجمهور المحبط فى أحلامه من حسونه، وكانت المحاكمة، نهاية المشوار، أفضل أسلوب لقلب "ماجور"

على القضية يغطيها وينهيها، وشهد عبد الحق، قال كل الحق وادان حسونه، حسونه اللص ، المدعى، سرق نصوصاً لكبار الأدباء أثناء زيارته لدار النشر، حاول إدعاء نسبتها إليه، وعندما اكتشف إدعى ما آدعاه، مجنون ، تافه، يدعى لنفسه، مالا يملك أين إنتاجه، من سمع عنه قبلاً، ويصدق الجميع عبد الحق، ألم يقل الحق، ويبتسم حسونه، فلا شئ لديه أمام هذا الحق.

وينبرى ممثل الإدعاء طالباً حماية المجتمع من هذا المجنون، أليست وظيفته حماية المجتمع من مستغليه، أمثال هذا المجنون المخرف، المخرب هكذا أدعى على حسونه، وهو يصرخ با أعلى صوته لحضرات القضاة وسيادة المستشارين، مشيراً لحسونه القابع خلف القضبان يبتسم ، ويذكر هيئة المحكمة، بهذا الذى خلق بلبلة للرأى العام، أنبت الذعر بين النفوس الآمنة، أساء إلى الشرفاء، وتهجم على الأبرياء ، حطم أمانهم وأمنهم، أساء إلى الوطن الحبيب، أعطى أعداءه الفرصة لطعنه من خلف

طعنه نجلاء شوه وجهه الضحوك، حاول أن يمحو البسمة التى على الشفاه، إساء إلى حقلنا الثقافى، مرآه الوطن الحضارية، هل يعقل يا سادة أن يكون حقلنا الثقافى بهذا الجدب؟!

لقد شوه هذا المخرب الصورة والمرآة، سار فى مخطط رسمه بنفس مريضه أو رسم له من قبل نفوس لا تخشى الله دفعته دفعاً لتنفيذ مخططه، دون مراعاة لحرمة الوطن وحرمة الإنسان ، لذا فأنا أطالب بأقصى العقوبة لهذا الخائن الذى خان وطنه وناسه وشعبة ، و، و، وكلام كثير قاله ممثل الادعاء.

وحسونه قابع وراء القضبان يبتسم، ينظر لنوال الجالسة وسط القاعة لا تفهم مما يدور شيئاً، لا تدرى عمن تلقى هذه الخطبة العصماء، أهو حسونه زوجها من يتكلمون عنه، حسونه يخطط ويخرب، تضحك نوال، هل هذا معقول، حسونه الذى كان يخشى أن يواجهها، وتنهمر الدموع من عينيها تلتقى بحسونه قبل النطق بالحكم.

يضحك لها، يهمس فى أذنها ...

- ما تزعليش ، خالى بالك الأولاد، علميهم ازاى يعيشوا ، علميهم إن الدنيا فيها كل الالوان ، مش الابيض بس ، علميهم ازاى يواجهوا ، يبطلوا يحلموا مايبقوش زى النعامة تخبى راسها امام العواصف ،وماتشفش اللى حواليها ، ساعتها حتدوسهم الافيال . حذريهم من الافيال ..حذريهم من الافيال .

بعـــــد الستــــــار

فلنبتسم فما فات ، مات ، وقد أقامت الافيال دعوى هى الأخرى على حسونه، تطالبه فيها أن يكون موضوعيا، وأن يتركها لعالمها، دون حقد، ودون حسد،فهى ليست المسئولة عن كونه نعامة عاجزة عن المواجهة.

المعادى – نوفمبر ٢٠٠٢

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع	١٧٧٢١ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977 - 223 - 937 - X

مطبعة العمرانية للاوفست

المنيب ت : ٧٧٧٩٣٩٨